MAJALLAH
Regd. No. LW/NP 59

AL - BAAS - EL- ISLAMI

JAN - 1999
(MONTHLY)

صدرت حديثاً :

طبعة جديدة منقحة محققة ، من كتاب :

موطأ الإمام مالك

برواية محمد الحسن الشيباني

و معه :

التعليق الممجد على موطأ محمد

شرح العلامة عبد الحيّ اللكهنوي

حققه و علق عليه :

الأستاذ – الدكتور تقي الدين الندوي

أستاذ الحديث والسنة النبوية الشريفة

طبع الكتاب :

على نفقة سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان

نائب رئيس مجلس الوزراء لدولة الإمارات العربية المتحدة

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ
من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الاعظمى

البعث الإسلامي

شعارنا الوحدة
إلى الإسلام من جديد

مجلة إسلامية شهرية جامعة

في هذا العدد

انتفاضة الأمة الإسلامية
و وجود قيادة مؤمنة
وقفة مع الإعلام الغربي ، والحضارة التي يصنعها
العلامة الشريف السيد عبد الحي
ابن فخر الدين الحسني الرائ بريلوي
أبو الأسود الدؤلي ، ودوره في وضع قواعد النحو
حوار من أجل العقيدة
التصور الإسلامي للاستخلاف
المسلمون يعارضون إدخال الوثنية في التعليم
إعجاز القرآن والقول بالصرفة
الإمام الطحاوي ، محدث عصره
أهمية علم الكيمياء والفيزياء
حقوق المرأة في الإسلام
ما يلزم من العربية

ذو القعدة ١٤١٩هـ
فبراير ١٩٩٩م

العدد الثالث
المجلد الرابع والأربعون

تصدرها :
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص . ب . ٩٣ لكناؤ (الهند)

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-

في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

المجلد الرابع والأربعون

العدد الثالث

ذو القعدة ١٤١٩هـ

فبراير ١٩٩٩م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار ،

﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب ٩٣ - لكناؤ

الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧(الهند)

☆☆☆

المراسلات

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P.o. Box 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" التي تجتاز الآن عامها الرابع والأربعين ، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا .

والله من وراء القصد و هو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية

ثمن النسخة : ١٥/روبية

في العالم العربي و في جميع دول العالم : ٢٠/دولاراً بالبريد السطحي و ٣٦/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي (مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o. NADWATUL-ULAMA

P.O. Box : 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

الافتتاحية :

☆ وقفة مع الإعلام الغربي ، والحضارة التي يصنعها ! — بقلم : سعيد الأعظمي الندوي ٣

التوجيه الإسلامي :

☆ انتفاضة الأمة الإسلامية و وجود قيادة مؤمنة — بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ٩
☆ "حوار من أجل العقيدة" — بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر ١٤

الدعوة الإسلامية :

☆ التصور الإسلامي للاستخلاف — بقلم : الدكتور شوكت محمد عليان ٢٦
☆ إعجاز القرآن والقول بالصرفة — بقلم : السيد راشد نسيم الندوي ٣٢

أعلام السنة والحديث :

☆ الإمام الطحاوي ، محدث عصره — بقلم : أ. د/تقي الدين الندوي ٣٨

من أعلام العلم والمعرفة :

☆ العلامة الشريف السيد عبد الحيّ بن فخر الدين الحسني الرائ بريلوي — بقلم : الأستاذ أبو سحبان روح القدس الندوي ٤٣
☆ أبو الأسود الدؤلي ، ودوره في وضع قواعد النحو — بقلم : الشيخ أحمد علي ٥٨

دراسات و أبحاث :

☆ أهمية علم الكيمياء والفيزياء — بقلم : فضيلة الشيخ محمد شهاب الندوي ٧١

الفقه الإسلامي :

☆ حقوق المرأة في الإسلام — بقلم : الأستاذ رحمة الله الندوي ٧٩

النشاط الإسلامي في الهند :

☆ المسلمون يعارضون إدخال الوثنية في التعليم — بقلم : البروفيسور محمد يونس النجرامي الندوي ٩٠

تعليق حول كتاب :

☆ ما يلزم من العربية — بقلم : د/عبد الماجد الندوي الكشميري ٩٤

إصدارات جديدة :

☆ ١- التشريع الإسلامي والقانون الوضعي ٩٦
☆ ٢- التأمين في الشريعة والقانون ٩٦
☆ ٣- الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ٩٦
☆ ٤- دراسات في الحضارة الإسلامية ٩٦
☆ ٥- مجموع الصلوات في الإسلام ٩٧
☆ ٦- الكويت تواجه الأطماع — قلم التحرير ٩٧

إلى رحمة الله تعالى :

☆ فضيلة الشيخ صدر الدين الإصلاحي ٩٨
☆ الأستاذ افتخار أحمد فريدي — قلم التحرير ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

وقفة مع الإعلام الغربي والحضارة التي يصنعها !

الإعلام المعاصر واقع يعيشه العالم اليوم كجزء لازم للحياة ، ذاك أنه يغطّى الأحداث و الأخبار العالمية ، و يقدم ألواناً من المواصفات الحضارية الجديدة ، وما يحتاج إليه الإنسان في مجتمعه الذي يعيش فيه ، والبيئة التي ينتمي إليها ، من أشكال حضارية مطلوبة ، ، وخاصة قنوات التلفاز العالمية التي تشتغل ليل نهار ، وتقدم برامج من كل نوعٍ إلى جيل الناشئين ، والمراهقين الذين هم على أعتاب مرحلة الشباب فتياناً وفتيات ، ويحاولون أن يبدأوا نشاطهم الشبابي بأجمل شكل وآنق صورة ، ويتمثلوا أمام المجتمع كنماذج فريدة و "موديلات" أنيقة من الجمال والكمال ، واللون والجنس .

نتيجة للبرامج الفنية والثقافية والأفلام العارية التي تركز على عرض مفاتن الجسد للرجل والمرأة ، وإبراز العورات بطريق الرقصات ، والازدواجية الجنسية السافرة بين الجنسين ، أقبل الشباب الفج ، وحتى الأطفال الذين لم يبلغوا سنّ المراهقة على تقليد هذه الأشكال المثيرة ، والرغبة الجامحة في محاكاتها في البيوت والمدارس والأسواق من غير وازع خلقي أو حشمة ، أمام الناس ، ولقد تعلّم هؤلآء الشباب والأطفال من خلال ما يشاهدونه على شاشة التلفزيون من البرامج الفنية والأفلام الجنسية ، أن الإنسان لا يكاد يعيش سعيداً وناجحاً ، ولا تكون له قيمة إنسانية ما لم يعتن بهذه الجوانب الفنية والتجميلات الجسدية ، هذه السيطرة الإعلامية على أفكار الشباب وعقول الناشئة تؤثر فيهم أيما تأثير ، وتقودهم إلى ارتكاب كل جريمة من غير تلكأ ، وما نراه ونسمع به من حكايات أصاغر المجرمين وإيداعهم في السجون ، أكبر

شاهد على هذا الواقع ، وبالرغم من هذه النتائج الخطيرة التي تهدّد المجتمعات البشرية بالتحول إلى مجتمعات حيوانية وبيئات شهوانية ، لا توجد هناك وقفة تأمل أو نظرة تعديل في هذه الموبقات الحضارية ، التي تحول الحياة إلى جحيم لا تطاق ، وتخلق إنساناً بلا قلب ولا ضمير .

هذه الحضارة المادية التي تعتبر الإنسان سلعة تجارية وتعرضه في سوق الشهوات وترصده لبيع المناداة ، إنما تزيد في شقاء النوع البشري من غير هوادة ولين ، وتسلب منه جميع القيم الخلقية التي كانت الأساس الذي يتميز به المرء عن جميع الكائنات الأخرى ، إنها أفرزت إلى المجتمعات الإنسانية شرقاً وغرباً أمراضاً جسدية استعصت على الأطباء أن يعالجوها ، و انتشرت عدواها في العالم البشري كله ، فالأيدز ذلك الداء العضال الذي لم يكن للإنسان عهد به منذ وقت قريب ، أصبح اليوم يعم بين المجتمع البشري في كل مكان ، وليس له سبب إلا الانحراف الخلقي والشذوذ الجنسي الذي مُني به الإنسان المتحضر من جرّاء حضارة الجنس والجسد ، وتؤشر الإحصائيات الجديدة إلى أن هذا المرض الخبيث يتفاقم عدد المصابين به ، وكذلك مرض السرطان الدموي والجسدي في زيادة مستمرة مدهشة ، أما عدد المنحرفين والمتمردين من الشباب والشابات فلا يأتي عليه الحصر .

لقد كانت جناية حضارة اليونان قبل الإسلام على المجتمعات البشرية بلغت المدى الأخير ، في إثارة الأمراض الخلقية ، وتجميل الجسد والاعتناء البالغ بإبراز مكامن الجنس والشهوات ، باسم الفن تارة ، والحضارة تارة أخرى ، الواقع الذي شغل الإنسان بنفسه ، وبنهب اللذات والتلذذ بصناعة التماثيل العارية ونحت الأجسام الأنيقة ، وأغفله عن وظيفته ، فلم يعد له همّ إلا التمتع بالجسد ، والانحناء أمام الأوثان والأصنام ، وعبادة العورات ، والحدب عليها بكل القوى والإمكانيات ، وأصبحت الحياة كلها دوامة من الجنس والمادة والشهوات ، لا يجد فيها المرء فرصة للتأمل في ذاته ، والتفكير في غايته ، وكنتيجة لهذه التجاوزات والاعتداءات الحيوانية فقد الناس حسّ

القلب ، و وخز الضمير ، والشعور بالأشرفية ، فتهالكوا في الشهوات وأتت عليهم قصورهم التي بنوها على دعائم منهارة من الفن والحضارة والجمال .

وجاء الإسلام بحضارته الكاملة ، ومنهج حياته الشامل وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وقام بتصحيح مسيرة الحياة ، ودعا إلى حياة جامعة بين العقل والقلب ، والجسد والروح ، وبين الدين والدنيا ، ، وقرر لكل واحد منه نصيبه بالعدل ، وأعطى كل ذي حق حقه من الرعاية والاهتمام ، وركز على تزكية القلب الذي هو المحرك الأول والرئيسي لجهاز الجسد ، وهو الذي يحل مركز المضخ للدم إلى جميع الشرايين ، فكان لابد من تقويته وتشفيفة ، وتجليته كالمرآة التي تطل بلمعانها على جميع الجوانب المظلمة فينورها ، ويعدها لأداء واجبها ، وذلك ما صوّره رسول اللّه ﷺ في حديثه الشريف وتعبيره البليغ ، فقال : "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب" إنه شرح ذلك الأساس الذي يقوم عليه صرح الحضارة الإسلامية ، وأحلّ القلب مركزه الكبير في جسد الإنسان ، ومشرفاً عليه ، فإذا اهتم به صاحبه نجا من كل خلل وسوء ومرض وبلاء ، مثل ما يتوافر ذلك في الحضارات التي تعتني بالجسد ومطالبه ، وتهمل القلب وغذاءه .

ومن ثم جاءت حضارة الإسلام تمثل القصد والاتزان ، وتشمل كل جانب من الروح والمادة ، وتجمع بينهما بالاعتدال ، ولا تسمح بالمغالاة في جانب ولا بالإخلال في جانب آخر ، فإنها حضارة دين وسط جاء لتأسيس أفضل مجتمع إنساني يتكفل بالسعادة والعز والطمأنينة لجميع أفراده والعائشين في ظله ، فإذا تأملنا في العناصر التي تتكون منها حضارة الإسلام أدركنا أنها تتلخص في العقيدة والسلوك والعبادات والمعاملات ، هذه العناصر الأربعة هي التي تعمل في بناء المستقبل الحضاري لكل مسلم ، وتضمن له الحياة الهنيئة المتزنة السعيدة ، ما كانت متساوية الأجزاء ومتناسقة الترتيب في التركيبة الحضارية ، ألم تروا كيف أن رسول الإسلام ﷺ لما علم بخلل في التوازن المطلوب لدى أحد الصحابة رضي اللّه عنهم ، وهو عبد اللّه بن عمرو بن العاص في عبادته وأعماله أنكر ذلك

أشد الأنكار ، ولفت نظره إلى إيجاد التناسق والتوازن بين جميع الأعمال ، ونهاه عن المغالاة فيها ، فقال : "... ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، قلت : بلى يا رسول الله ! ، قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينيك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً" .

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم عندهم شعور بالمغالاة في العبادات ، فكانوا يغالون ، ويظنون ذلك باعثا على المثوبة في الآخرة ، والهدوء والسعادة في الدنيا ، فجاؤا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ، وعزموا على الاستمرار في المغالاة ، وتحدثوا بذلك ، فلما سمع بكلامهم رسول الله ﷺ أنكره وأقر بالتوازن الذي كان يقوم به في عبادته وأعماله وأوصاهم بذاك ، فلنقرأ الآن هذا الحديث الصحيح بكامله :

"عن أنس ﷺ قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي الكريم ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ، وقالوا : أين نحن من رسول الله ﷺ ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم ، وقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني" .

وحديث آخر :

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : "هلك المتنطعون" قالها ثلاثاً [رواه مسلم] المتنطعون: المتعمقون المشدّدون في غير موضع التشديد" .

هكذا تكون حضارة الإسلام في انحياز تام عن كل مغالاة وتشديد ، وفي تجرد كامل من كل خلل ونقص ، أو جمع غير متزن ، إنها تعتني ما يستحق الاعتناء أولاً فأولاً ، فلا تغلّب جانباً على جانب ، ولا تُهمل حاجة أو رغبة إنسانية ، إنما تقوم بالجمع المعتدل بين الجميع ، وتقدم ما هو جدير بذلك ،

وتؤخر ما يستحق التأخير ، فليست هي حضارة القلب وحده أو حضارة الروح وحدها ، كما أنها ليست كحضارة الجسد اليوم ، وحضارة المتعة واللذة اليوم ، إنما هي حضارة القلب و الجسد معاً ، و حضارة الروح و المادة على السواء : ﴿ فمن الناس من يقول : ربّنا آتنا في الدنيا حسنة ٥ و ما له في الآخرة من خلاق ٥ ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ٥ وفي الآخرة حسنة ٥ وقنا عذاب النار ٥ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ٥ والله سريع الحساب ﴾ .

إن هناك في العالم الغربي اليوم ثورة ضد الحضارات المادية التي كانت معاناة الناس منها أشد مما يتصور ، ذلك لأنها أفلست في المزاعم التي زعمها حملة لوائها في الغرب كله ، وباءت بالفشل الذريع في توجيه أي معنى من السعادة والسرور ، بدأ كثير من الغربيين ممن جربوها إلى أمد بعيد ، وانتظروا ثمارها الحلوة التي كانوا يحلمون بها ، يرفضونها الآن ويستبشعونها ، وهم يبحثون اليوم عن حضارة إنسانية حقيقية ليجدوا فيها ضالتهم من الأمن والسعادة الحقة ، وهل هي إلا الحضارة الإنسانية الدائمة التي أتى بها الإسلام ونشر ظلالها الوارفة في كل مكان .

فما أجدر الغرب اليوم أن ينتبه إلى هذا الواقع الأليم ، ويهتم في جدية فائقة بالإبقاء على أجيال الغد وشباب المستقبل في العالم ، وذلك بالكف عن نشر الأوبئة الخلقية ، والأمراض النفسية الفتاكة عن طريق البرامج الإعلامية المرئية منها والمسموعة ، إنه إذا لم يلتفت إلى هذا الجانب التربوي المهم بأسرع ما يمكن لكان قد ترك الأجيال الصاعدة بمكان من الضياع والسقوط والفساد ، ولم يتمكن من بناء مستقبل حضاري إنساني يقوم على إيحاءات إيجابية بناءة تربط الخلق بالخالق والأرض بالسماء ، وتقيم ميزان العدل والفضيلة بين المجتمعات الإنسانية كلها .

﴿ فأما مَن طغى ٥ وآثر الحياة الدنيا ٥ فإن الجحيم هي المأوى ٥ وأما من خاف مقام ربه ٥ ونهى النفس عن الهوى ٥ فإن الجنة هي المأوى ﴾ .

سعير الأعظمي

التوجيه الإسلامي

انتفاضة الأمة الإسلامية و وجود قيادة مؤمنة

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

إن هذه الأمة الإسلامية العربية ظلت تحتمل النكبات وتمر بالكوارث التي تقصم الظهر ، وتذيب المهجة وتحير العقل وتحطم الأعصاب ، كانت أولها وأعظمها وفاة نبيها وارتداد عامة العرب ، وانحصار الإسلام والمسلمين - وجلهم بل كلهم من العرب - في مدينة صغيرة ، وقرية أو قريتين من الجزيرة يموج حولهم بحر الكفر والعداء ، وتكتنفهم إمبراطوريتان عظيمتان قد هاجتا عليهم ، وطمعتا فيهم ، فهو كما يقول عروة بن الزبير : "كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم" .

والثانية تدفق الجيوش الصليبية والحكومات الأوربية بأسرها ، وخيلها ورجلها على جزء صغير من المملكة الإسلامية ، ورميها للمسلمين عن قوس واحدة ، واستيلاؤها على القدس والمسجد الأقصى ، وكثير من المدن العربية الإسلامية ، وتحديدها للإسلام ، وتهددها لمركزه ومرقد نبيه عليه الصلاة والسلام ، فهم في مدهم الأول ، كالوتد الحديدي يغرز في خشب نيئي ناعم ، كما يقول "استيلي لين بول" .

وثالثتها زحف التتار الوحوش على العالم الإسلامي ، وتحطيمهم له من أقصاه إلى أقصاه ، فكانوا يسرحون على جثثه وأشلائه من غير خوف أو احتشام ، وقد كان العالم الإسلامي مقبرة واسعة يهيمن عليها الموت ، ويسود عليها الصمت الرهيب ، وقد قطع المتفائلون الأقوياء الرجاء في نهضتهم ،

ويذكر هذا الحادث المؤرخون العرب ، فتنهمل عبراتهم ، وتتقطع أنفاسهم ويفضلون السكوت على الحديث ، والموت على الحياة ، ويذكره المؤرخ ابن الأثير الجزري فيقول : لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ، فيا ليت أمي لم تلدني ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً" وكانت هذه الكوارث خليقة بالقضاء على أمة من أعظم الأمم ، ولكن الأمة الإسلامية - وفي مقدمتها وعلى رأسها الشعوب العربية - خرجت من تحت الركام ، ومن تحت الأنقاض حية جديدة ، قوية نشيطة ، و نفضت عنها غبار الموت ، وتراب القبر الذي تخيله أعداء الإسلام ، واستأنفت السير في إيمان جديد ، وثقة مستأنفة ، ودم فائر ، وحماسة زائدة ، والتاريخ مستعد لإعادة نفسه إذا طلب منه ذلك ، واختير له السبيل القويم والصراط المستقيم .

إن هذه الكوارث الثلاث التي وقعت في عصور مختلفة وانتفاضة الأمة الإسلامية بعدها ونهوض العرب ؛ يلتقى على نقطة واحدة ، وهي وجود قيادة مؤمنة ، راسخة العقيدة قوية الإيمان بوعد الله ونصره وبصلاح الإسلام وبالقوة الكامنة فيه ، شديدة التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه ، مجردة عن كل أنانية ، وعصبية جاهلية ، فكان على رأس الانتفاضة الأولى أبو بكر الصديق ﷺ ورفقته ، وكان على رأس الانتفاضة الثانية صلاح الدين الأيوبي وأنصاره ، وكان على رأس الانتفاضة الثالثة علماء ربانيون ، و وزراء صالحون أسلم على أيديهم التتار أفراداً وأمةً ، وتحولوا حماة للإسلام وحملة لوائه في الشرق والغرب ، ويلتقى هؤلاء القادة على أنهم كلهم كانوا يدعون بدعوة الإسلام ويقاتلون بسيف محمد عليه الصلاة والسلام ، واستحقوا بذلك نصر الله وتأييده الخارق للعادة ، وظهرت المعجزة فقد قال الله : ﴿ أولئك حزب

الله * ألا إن حزب الله * هم المفلحون ﴾ [سورة المجادلة] ، وقال : ﴿ وان جندنا لهم الغالبون ﴾ [سورة الصافات] .

يجب علينا - نحن معشر العرب والمسلمين - أن نستأنف السير من جديد فنعترف - بالشجاعة التي عرفت بها العرب في التاريخ - أن الطريق الذي اخترناه لبناء كياننا الجديد ، واسترداد مركزنا في العالم الجديد ، وفي كسب القوة والوحدة وفي إنقاذ فلسطين ، كان طريقاً عقيماً منحرفاً يخبط المساعي ويخيب الآمال ، وأنه لا يقترن بنصر الله وتأييده ، حين لا عز ولا كرامة ، ولا ظفر ولا انتصار إلا بنصره وتأييده ، ونعترف بشجاعة أن الله ربط مصيرنا بالإسلام وبمحمد النبي الأمي ، وبتأييد دينه : ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه * واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [سورة الأعراف] ، ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك * وسوف تسألون ﴾ [سورة الزخرف] ، ونعترف بشجاعة أن دعوة القومية العربية ، قد أخفقت وافتضحت وأنها كانت : ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً * حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً * و وجد الله عنده فوفاه حسابه * والله سريع الحساب ﴾ [سورة النور] ونعترف بشجاعة أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن الطريق التي تسلكه الحكومات الدكتاتورية الشيوعية مبيد للبلاد ، مهلك للحرث والنسل ، وأنه لا يتفق مع الإسلام ولا مع الإنسانية ، ولا مع الحرية الحقيقية ، ولا المساواة ولا الجمهورية ، وأن الطاعة المطلقة العمياء لقائد أو أمير ، والخضوع له في خير وفي شر ، وفي طاعة وفي معصية ؛ وتسليطه على العقل والنفس تسليط الأصنام والآلهة ، وعدم محاسبته في تصرفاته يجر النار والدمار على العباد والبلاد ، وأن نعترف شجاعة بأن الثرثرة وكثرة الكلام والدعاوي الفارغة لا تفيد شيئاً ، وأن التفريط في الاستعداد ، وعدم مقابلة الحديد بالحديد والغفلة والأخطاء الصبيانية في ميدان الحرب جريمة لا تغتفر في عالم الأسباب .

ونعترف بشجاعة أن العرب في حاجة إلى إيمان جديد بالدين الخالد القديم، وإلى حب يملأ جوانح النفس، ويغمر العقل والقلب بعنوان مجدهم، وسر شرفهم وكرامتهم، ومنبع قوتهم وانتصارهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، الذي لا يعز العرب ولا الاتراك ولا الهنود إلا بالإيمان برسالته الخالدة، وتعاليمه الفاضلة وإمامته الدائمة، وقيادته الرشيدة، ونعترف بشجاعة أن المسلمين والعرب لا تفيدهم قوة أجنبية ولا تخدمهم مصالح سياسية للأجانب تتقلب مع الرياح، وتخضع للمنافع والأرباح، فليتوكلوا على الله أولاً، ثم ليعتمدوا على سواعدهم وشجاعتهم وإيمانهم، وأخلاقهم وصفاتهم ثانياً.

ويجب أن نلتجئ إلى الله أفراداً وأمةً في ضراعة وابتهال ونتوب إلى الله توبة اجتماعية نصوحاً ونبرأ إليه من كل حول وطول ونؤمن بأنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، ولا نكون كالذين قال الله فيهم: ﴿ فلو لا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا * ولكن قست قلوبهم * وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون ﴾ [سورة الأنعام]، ولا كالذين قال فيهم: ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم * وما يتضرعون ﴾ [سورة المؤمنون]، بل نكون كالذين قال فيهم: ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت * وضاقت عليهم أنفسهم * وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه * ثم تاب عليهم ليتوبوا * إن الله هو التواب الرحيم ﴾ [سورة البراءة] وللتوبة الاجتماعية المخلصة تأثير غريب في تغيير المصير وقلب الأوضاع، فقد حكى القرآن عن هود قوله: ﴿ ويا قوم ! استغفروا ربكم * ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً * ويزدكم قوة إلى قوتكم * ولا تتولوا مجرمين ﴾ [سورة هود]، وحكى قول نوح: ﴿ فقلت: استغفروا ربكم * إنه كان غفّاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين * ويجعل لكم جنات *

ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ [سورة نوح] ولنصلح حياتنا وسيرتنا مع الله ومع عباده وفيما مكننا فيه ومتعنا به، ولنترك المنازعة مع الله، ومحادة رسوله ومعارضة شريعته وقانونه، ولندخل في السلم كافة، فلذلك تأثير سحري في الفوز بالسعادة، والعز والكرامة، والنجاة من الحكام الظالمين، والأعداء القاهرين فقد قال الله تعالى: ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءاً غدقاً ﴾ [سورة الجن]، وقال: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [سورة الأعراف]، وهذا هو السلاح الذي أشار به موسى على قومه في مصر: ﴿ و أوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً * واجعلوا بيوتكم قبلة * وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ [سورة يونس].

ألا إن العالم العربي لم يغب له نجم إلا وطلع له نجم آخر، ولم يتوار بطل إلا وبرز بطل آخر؛ ولم يرض الله بذله وهوانه، ففي ذله ذل المسلمين، وفي هوانه شماتة الأعداء المتربصين، فلينفض عنه الغبار وليستأنف السير، وليعد إلى مركزه ورسالته، وصفاته الأولى: ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون * إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله * وتلك الأيام نداولها بين الناس * وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء * والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة * ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين * ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه * وأنتم تنظرون ﴾ [سورة آل عمران].

وصلى الله تعالى على خير خلقه،
محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم

☆☆☆☆☆

"حوار من أجل العقيدة"

[٣/الأخيرة]

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" (الرياض)

٣- ثم في نهاية هذا الحديث، قال الناصريّ: وأقول: إن السلطان المولى سليمان رحمه الله، كان يرى شيئاً من ذلك، ولأجله كتب رسالته المشهورة، التي تكلم فيها عن حال متفقرة الوقت - ويعني بهم رهبنة الصوفية - وحذّر فيها رضي الله عنه، من الخروج عن السنة، والتّغالي في البدعة، و بيّن فيها آداب زيارة الأولياء، و حذّر من غلوّ العوام في ذلك، وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين، جزاه الله خيراً.

كما قال: إن المولى سليمان قد حدّد خطبة تحثّ على التوحيد، ومحاربة البدع، و أمر بتوزيعها على مساجد الجمعة، كما أمر بإغلاق زوايا الصوفية (١).

وبعد الحوار الذي دار في أمور كثيرة مما نسب لهم، قال الناصري: ثم قال، صاحب الجيش: هذا ما حدّث به أولئك المذكورون، سمعنا ذلك من بعضهم جماعة، ثم سألنا الباقي أفراداً فاتفق خبرهم على ذلك (٢).

ثم قلت: هذه بعض الحقائق المقرونة بالحوار والرّصد، وكما وعدتكم بعدم الخروج عما هو في محيط منطقتكم، حيث نشأت الوهابية الحقيقية، وحيث لُبّس عليكم وعلى كثير من المسلمين، أمر و حقيقة دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، التي قام بنشرها آل سعود.

(١-٢) الاستقصاء: ج٨، ص/١٢١-١٢٢.

وإلا فإن الشيخ محمد، كما يتضح من رسائله و ردوده التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كما مرّ بنا نماذج منها، فيها نفي وتفنيد، لما الصق بدعوته من تهم وأكاذيب، لم يقلها، بل قد نفاها وكرر مراراً القول: هذا بهتان عظيم (١).

فكيف يصدّق العاقل، ما قيل من أمور هو في حياته سمعها ونفاها، كما نفاها تلاميذه من بعده، وهذا كتابه: كتاب التوحيد، و شرحه فتح المجيد، و تيسير العزيز الحميد، اقرأوها بتمعّن، وتدقيق، فإن رأيتم فيهن شيئاً يخالف ما جاء عن رسول الله ﷺ، فلكم الحق في التشكيك، و مثل ذلك رسائله: ثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، والقواعد الأربع، و آداب المشي إلى الصلاة وغيرها.

٤- أما الدكتور عباس الجراري، وهو من هنا من المغرب - ولست أدري هل اطلعتم على محاضرته في عام ١٣٩٩هـ بجامعة الرياض - جامعة الملك سعود حالياً - التي قال فيها: إن التيار السلفي في المغرب، قد ظهر مرة أخرى في بداية القرن الرابع عشر الهجري، حيث وجّه السلطان الحسن عام ١٣٠٠هـ رسالة إلى الشعب المغربي، وقد نوّه عن هذا الناصري أيضاً، كما حصل مثل ذلك عام ١١٨٥هـ، عندما أرسل الإمام عبد العزيز بن محمد، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصّي، إلى والي مكة آنذاك لمناظرة علماء مكة، فكان من علماء مكة المشايخ: يحيى بن صالح الحنفي، وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان، وعبد العزيز بن هلال، فتفاوضوا في ثلاث مسائل، وقت المناظرة، ظهرت منها لهم الحقائق المقنعة بسلامة هذه الدعوة.

ثم قلت: إن علماء مكة ذلك الوقت عندهم شبهة كما هي لدى علماء المغرب وغيرهم، حسبما يتردّد من إشاعات، وما يصلهم من أكاذيب

---

(١) يراجع في هذا: الجزء الخامس من مجموع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي نشرته جامعة الإمام وهو خاص بالرسائل والردود.

وافتراءات ينشرها المغرضون .

وبعد ما دخل الإمام سعود بن عبد العزيز مكة ثانية ، جرت مناظرات ، و إجابات على تساؤلاتهم ، و كان من علماء نجد : الشيخ عبد العزيز الحصيّن ، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، الذي عينه الإمام سعود قاضياً ومفتياً بمكة حتى توفي بمكة بعد ذلك ، فحصلت القناعة من علماء مكة ، وصدر بهذا وثيقة وقّعها الجميع بنفي الشبهات ، والأكاذيب حول الدعوة ، وطبعت عدة مرات .

ثم في عهد الملك عبد العزيز ، بعد ما دخل مكة عام ١٣٤٣هـ ، حصل مثل ذلك .. مما أوجد قناعة بسلامة منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى - .

وأزيدكم علماً بأن القباب المبنيّة على القبور في مكة ، هدمت أيام الشريف عون الرفيق ، ما عدا قبر السيدة خديجة ، في الفترة ما بين الدولة السعودية الثانية ، وقيام الملك عبد العزيز لإعادة الدولة السعودية في دورها الثالث ، كان ذلك الهدم بمشورة الشيخ أحمد بن عيسى ، وتأييد من الشريف وبعض علماء مكة ، مما يدل على القناعة (١) .

ثم قلت : أيها الإخوة ! مما دار من نقاش ، ومما وجدنا من نصوص ، نرى أن الوهابية بعيوبها ، نسبتها إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، خطأ محض ، وأن الوهابية التي صدرت عنها الفتاوى في كتبكم ، لا علاقة لها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولا تقارب بينهما ، لأن الخطّين المتوازيين لا يلتقيان .

ذلك أن الشيخ محمد وتلاميذه يحققون الوهابية الرستمية ، كما قصّها علماؤكم من قبل .. لأن دعوة الشيخ محمد سلفية ، ولا يوجد فيها ما يخالف

---

(١) تراجع ترجمة الشيخ أحمد العيسى في كتاب ابن بسام : علماء نجد خلال ستة قرون ، الجزء الأول .

كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

كما برز أمامنا : أن علماء المغرب برّأوا علماء الدعوة وحكام آل سعود ، الذين ناصروها إحياءً لدين الله ، وتجديداً لما اندثر من سنة رسول الله ﷺ ، وإماتةً للبدعة عندما تناظروا معهم في حج عام ١٢٢٦هـ ، وظهر لهم كذب ما نسب للشيخ والدعة لدين الله ، وعلى هذا بان لنا أن أربعة من سلاطين المغرب الأقصى ، اهتموا بهذه الدعوة ، وتبنّوا نشرها في بلادهم ، وهم :

١- المولى السلطان : سيدي محمد بن عبد الله العلويّ ، الذي كان معاصراً للإمام عبد العزيز بن محمد ، وتبلّغ برسالة الإمام سعود .

٢- المولى السلطان : سليمان بن محمد بن عبد الله العلويّ ، الذي أوفد العلماء مع ابنه المولى ابراهيم ، وتناقش مع الإمام سعود بن عبد العزيز ، وعلماؤه مع علماء الدعوة .

٣- المولى السلطان : ابرهيم بن سليمان بن محمد بن عبد الله العلويّ ، الذي تسلّم زمام الأمر بعد أبيه السلطان سليمان .

٤- المولى السلطان : الحسن الأول في عام ١٣٠٠هـ ، و وقته فترة بين الدولة السعودية الثانية ، والدور الثالث لهذه الدولة ، الذي قام به الملك عبد العزيز من خمسة شوال عام ١٣١٩هـ .

كما أن الدكتور محمد تقي الدين الهلالي - رحمه الله - اهتم بهذه الدعوة ، وهو حسنيّ من العائلة المغربية الحاكمة ، وقد كان تيجانياً ، ثم لمّا عرف حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - حرص على نشرها ، في كل مكان ذهب إليه ، حتى استقر آخر عمره في المغرب بفاس ، ثم تحول إلى الدار البيضاء ، حتى توفي رحمه الله ، وقد ألّف رسالة عن التيجانية وبطلانها ، ومثله الشيخ عبد الرحمن الإفريقي الذي كان سنغالياً تيجانياً فتركها وألّف في ذمّ ماهم عليه .

كما جرت كتابات عديدة عن محاكمة السلفية في المغرب ، و عن انتشارها ، وتأثر قادتها بعلماء الحجاز ونجد ، من ذلك التاريخ حتى اليوم ،

وقد ردّ الأستاذ أحمد العماري الذي حقّق رسالة الوتريّ، وقال: إن تحمله على السلفية نزمت شديد للطرقيّة على حساب السلفية والمحقق مغربيّ.

ثم قلت: أرجو أن يكون في ذلك مقنع وكفاية، وإن أردتم زيادة توضيحية أكثر سواء بنقل آراء العلماء من العالم الإسلامي، أو بوجهات نظر وتحليل المستشرقين من بلاد الغرب، الذين راقبوا الأحداث، وتتبعوا مسيرة الدعوة، فلا مانع .. لكن ذلك يحتاج إلى مصادر قد لا تتوفر هنا.

لذلك اقتصرت على علماء المغرب وحكامهم، لأن طارحي الشبهة الآن مغاربة، حيث يسهل الرجوع للمصادر من هذه المكتبة، وذلك أقرب إلى القناعة، أخذاً من قول علي بن أبي طالب ﷺ: خاطبوا الناس بما يعرفون، حتى لا يكذّب الله ورسوله.

فقال صاحبنا: كل ما ذكرت مقنع و واقعيّ، وأزال بحمد الله الشبهات التي كانت تثار، فما رأي الإخوة؟ قالوا: هذا صحيح .. ثم أردف قائلاً: لكن كيف أن هذه الإجابات المقنعة، بين أيدينا، وسهلة التناول، وغاب عنا استجلاؤها.

قلت له: هذا جوابه عندكم .. وطالب العلم مسئوليته أمام الله عظيمة، فليس هو كالجاهل، الذي يلقى إليه الأمر ويصدّق، إذْ يجب أن لا يحكم طالب العلم على أمر إلا بعد البحث والاستقصاء، فالعاميّ، ونصف المتعلّم، إن وجد له عذر، إلا أن طالب العلم، والأستاذ الجامعيّ لا يعذران لأن كلاً منهما قدوة لغيره، ولأن طلابه يأخذون عنه، وينتظرون توجيهه، وإزالة الشبهات من أمامهم.

قال: هل من الممكن أن تكتب بهذا الخصوص في صحيفة النور التي تصدر في تطوان بالمغرب مقالاً، قلت: نعم .. ثم بعد أن عدت إلى المملكة بعثت لهم مقالاً موثّقاً بمصادره ..

وبعد أن نشر هذا المقال جاءتني رسائل إيجابية وسلبية، عن صدى ما نشر عن الوهابية: والذين تحدثت معهم، رغبوا في زيادة المقالة، حتى تصبح

رسالة تضم معلومات أوسع، ليمكن طبعها هناك.

وقد استجبت، وتم ذلك - بحمد الله - وحرصت على عدم الإطالة، مع الإشارة للمصادر حتى يسهل على راغب الزيادة، والحريص على توسيع المدارك، معرفة الكتب المعينة له في إشباع رغبته.

وقد طبعت هذه الرسالة للمرة الأولى في كتيّب في تطوان بالمغرب، في حدود عام ١٤٠٧هـ، كما طبعت ثانية بعد ذلك بعدة سنوات في الرياض عام ١٤١٣هـ، وقد حقق الله بها فائدةً ونفعاً.

وما ذلك إلا أن أعداء الإسلام، والراغبين في فرقة المسلمين، وأصحاب المآرب الخاصة: أعاذ الله المسلمين من شرهم، قد وجدوا في الوهابية الرستمية ثوباً جاهزاً، ألبسوه عاجلاً هذه الدعوة السلفية الصحيحة في مقصدها، ودعوتها، خوفاً من تجمّع المسلمين ضدّهم، حيث يريدونهم مثل الجياع الذين يلاحقون من يطعمهم: كالأيتام على مائدة اللئام.

هذا من جانب، وللتنفير وبث العداوات بين أبناء المسلمين من جانب آخر، وليحققوا مآربهم بتوسيع دائرة الخلافات، ولإثارة الشبهات في المجتمع الإسلامي.

وقد كان من المصالح التي تحققت - بحمد الله - من هذه الرسالة بعد طبعها للمرة الثانية، أن أكثر من شخص من المرموقين، أخبرت عنهم، بأنه قد مرت بهم مواقف في الجمهوريات الإسلامية المنفصلة، عن الاتحاد السوفيتي، بعد انحلال الشيوعية، لأن فتوى انتشرت هناك، استغلّ مروّجها حماسة السكان إسلامياً، وقصورهم في فهم العقيدة الصحيحة، وعمق المعارف الإسلامية، تقول هذه الفتوى: إن قتل وهابيّ واحد، أفضل من قتل مائة يهوديّ، حتى صار السلفيّ لا يسير منفرداً.

فاجتمع بعضهم ببعض العلماء، و أئمة المساجد هناك، و أوضحوا لهم عن الوهابية الرستمية، وعن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفق ما جاء في هذه الرسالة، فكان من ذلك جلاء للغشاوة و إزالة للشبهة

بتصحيح المفهوم، وقد ترجمت للغات المحلّية هناك فنفع الله بها.

والذي يجب أن يدركه كل مسلم مخلص، أن الأعداء لا يكلوّن ولا يملّون من ترديد شبهاتهم، ولكن المعرفة والتعليم، وردّ الأمور في دين الله إلى أصولها من كتاب الله، و سنة رسول الله ﷺ، اللذين هما وصية رسول الله ﷺ، وأنهم إذا تمسكوا بهما لن يضلوا (١)، وهما السلاح لن يريد أن يجابه مكائد الخصوم وسمومهم.

كما أن الدارسين لهذه الدعوة، خرجوا بنتيجة:

١- أنها ليست حزباً له تنظيماته، وإنما هي تجديد لدين الله، على خُطى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، وسلف هذه الأمة الأخيار.

٢- أنها ليست مذهباً يخالف به معتنقو المذاهب الفقهية المعروفة.

٣- أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سلفيّ العقيدة، شأنه شأن كل من يدعو إلى منهج السلف الصالح، في كل عصر ومصر، يدعو إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه.

٤- أما مذهبه في الفروع، فهو على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مثلما أن هناك أحنافاً سلفيون وشوافع سلفيون، ومالكية سلفيون ..

وقد بان لنا من هذا الحوار أن أحد سلاطين المغرب، وهو المولى السلطان: سيدي محمد بن عبد الله العلويّ، قال عن نفسه: "أنا وهابيّ العقيدة، مالكي المذهب" (٢)، وهو لا يقصد الوهابية الرستمية، وإنما يردّ بذلك على من وصم دعوة التوحيد الخالص لله، بهذا الوقت.

ومثله قال: عمران بن رضوان، وهو من علماء بلدة لنجه بإيران في الجهة الشرقية من الخليج: أنا وهابي لما بلغته دعوة الشيخ محمد بن

---

(١) يراجع في هذا خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

(٢) انظر: تاريخ إفريقيا بشماله -لشارلي جوليان ترجمه محمد مزالي والبشير بن سلامة: ج/٢، ص/٣١١.

عبد الوهاب، وهو حنفي المذهب، وقيل شافعي، وقد مدحها بقصيدة منها هذا البيت:

إن كان تابع أحمد متوهّباً فأنا المقّر بأنني وهابي

والأمير الشيخ الصنعاني: محمد بن اسماعيل، وهو من اليمن وجيهاً وعلاّ، ومع أن مذهبه الفقهي زيديّ فإنه درس هذه الدعوة وأحبّها، ومدحها ومدح الشيخ بقصيدة بدأها بقوله:

سلام على نجد و من حلّ في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ومثله الإمام الشوكاني من اليمن أيضاً (١)

و الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي -رحمه الله- الذي مرّ بنا ذكره، وهو من علماء المغرب، وحسنيّ ينتمي للعائلة المالكة، يقول عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن قصيدة:

نسبوا إلى الوهاب خير عباده فيا حبذا نسبي إلى الوهابيّ

وقد استعنت بالله في إخراج هذه الرسالة المختصرة: "تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية" حتى تسهل القراءة، لأن المطولات في هذا العصر قد لا تقرأ إلا من ذوي الاختصاص، وأرجو أن تتحقق منها الفائدة في إزالة اللبس، وتنقشع الغشاوة التي أراد بها أعداء الإسلام، والراغبون في الإضرار بالمسلمين، ببلبلة الأفكار، وبثّ الفرقة.. لعل الله أن يصحح المفاهيم، وينير الأذهان: ﴿ والله غالب على أمره * ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾.

ولعل مما يفيد في الموضوع إيراد رسالة كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - قبل وفاته لأهالي المغرب يوضح فيها ما يدعو إليه من

---

(١) يراجع في هذا ما ذكره الشيخ ابن سحمان في الدرر السنية، وبها القصائد، وكتاب الدكتور عبد الله أبو داهش و هو أدب في الدعوة في جنوب الجزيرة -رسالة دكتوراه.

العبادة لله وتنقية التوحيد .. مما يفيد أن الجذور الحسنة والقناعة مهّدت للاتفاق بين رأي الإمام سعود والمولى ابرهيم بعد المناظرة بين علمـاء المغـرب بزعامة المولى ابرهيم وبين علماء نجد برئاسة الإمام سعود بن عبد العزيز في مكة حج عام ١٢٢٦هـ ، وحصول القناعة بسلامة ما يدعى إليـه ، ونفـي الشـبهات عـن الشيخ محمد مما يتبرأ منه هو والعلماء بعده ..

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا مَن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله ، مَن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولن يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فقد قال الله تعالى : ﴿ قل : هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني * وسبحان الله وما أنـا من المشركين ﴾ [سورة يوسف ، الآية : ١٠٨] ، وقال تعالى : ﴿ قل : إن كنتم تحبّون اللـه * فـاتّبعوني يُحببكم الله * ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه * وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [سورة الحشر ، الآية : ٧] وقال تعالى : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم * وأتممتُ عليكم نعمتي * ورضيتُ لكم الإسلام ديناً ﴾ [سورة المائدة ، الآيـة : ٣] فـأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ وأمرنا بلزوم مـا أنـزل إلينا من ربنا ، وترك البدع والتفرق والاختلاف ، فقال تعالى : ﴿ اتّبعوا ما أنزل إليكم من ربكم * ولا تتبعوا من دونه أولياء * قليلاً مـا تذكرون ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٣] ، وقال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه * ولا تتبعوا السُبل فتفرّق بكم عن سبيله * ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣] والرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ أنه قال : "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة

حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا : يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ وأخبر في الحديث الآخر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي .

إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسماوات ، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان ، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله ، وصرف شئ من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، كما قال تعالى : ﴿ فاعبد اللـه مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص * والذين اتخذوا من دونه أولياء * ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى * إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون * إن اللـه لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ [سورة الزمر ، الآيتان : ٢-٣] فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه ، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده ، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم ، فقال : ﴿ إن اللـه لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ ، و قال تعالى : ﴿ و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم * ويقولون هؤلآء شفعاؤنا عند الله * قل : أتنبّئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض * سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [سورة يونس ، الآية : ١٨] فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وساطة يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم وذلك أن الشفاعة كلها لله ، كما قال تعالى : ﴿ قل : لله الشفاعة جميعاً ﴾ .

[سورة الزمر ، الآية : ٤٤]

فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ يومئذ لا تنفع

الشفاعة إلا من أذن له الرحمن * ورضي له قولاً ﴾ [سورة طه ، الآية : ١٠٩] وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ قل : ادعوا الذين زعمتم من دون الله * لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض * وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [سورة سبأ ، الآيتان : ٢٢-٢٣] فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ وأن المساجد لله * فلا تدعو مع الله أحداً ﴾ [سورة الجن ، الآية : ١٨] ، وقال : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك * فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾ [سورة يونس ، الآية : ١٠٦] فإذا كان الرسول ﷺ و هو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع ابتداء بل : "يأتي فيخر ساجداً فيحمده بمحامد يعلمه إياها ، ثم يقال ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، ثم يحد له حداً فيدخلهم الجنة" فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء ؟

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم .

وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي الكريم ﷺ وحذر منها كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال : "لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان" وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يوصل إلى الشرك فنهى أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب ﷺ وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سوّاه ولا تمثال إلا طمسه ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ .

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا و بين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله ، وإجماع السلف الصالح من الأئمة ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة * ويكون الدين كله لله ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٣٩] فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان ، كما قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات * وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط * وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد * ومنافع للناس * وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب * إن الله قوي عزيز ﴾ [سورة الحديد ، الآية : ٢٥] ، وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، كما قال تعالى : ﴿ الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر * ولله عاقبة الأمور ﴾.
[سورة الحج ، الآية : ٤١]

فهذا هو الذي نعتقد وندين الله به فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضاً أن أمة محمد ﷺ المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (١) .

☆☆☆

---

(١) أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب : المجموع : ج/٨ ، ص/١١٠-١١٥ الرسائل الشخصية ، وانظر أيضاً : الدرر السنية .

الدعـوة الإسلامية :

التصور الإسلامي للاستخلاف

بقلم : الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية -الرياض

الاستخلاف لغة : مصدر للفعل استخلف يستخلف استخلافاً ، وهو من الثلاثي لمادة خلف (١) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وعد اللّه الذين آمنوا منكم ٥ وَعملوا الصالحات لَيستخلفنّهم في الأرض ٥ كما استخلف الذين من قبلهم ٥ ولَيُمكّنَنّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ٥ ولَيُبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً ٥ يعبدونني لا يُشركون بي شيئاً ٥ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

[سورة النور ، الآية/٥٥]

أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم ، فالمستخلف هو اللّه تعالى ، والمستخلف هم البشر ، وقد استخلفهم في الأرض ليقوموا على طاعته والإفادة مما سخره لهم من مخلوقات إعماراً لهذا الكون .

وقد انتهج المذهب الاقتصادي الإسلامي نهجاً عظيماً في تقريره لمبادئ التملك وتنظيمها ، منطلقاً من النظرة المستوعبة لأقسام المال وخصائصه وطبيعة تكوينه وصيغة منافعه ، ومن ثم لم يقتصر على الإقرار بمبدأ الملكية الفردية ، واعتباره القاعدة والأصل ، والملكية العامة هي الاستثناء كما فعل المذهب الفردي ، كما أنه لم يقر الملكية العامة على أنها القاعدة والأساس ، والملكية الخاصة هي الاستثناء كما فعل المذهب الماركسي ، بل أخذ بكلا النوعين المتمثلين بأشكال الاستخلاف في وقت واحد كأصل وليس استثناء (٢) ، على اعتبار أن الملكية حق لله تعالى ،

---

(١) مختار الصحاح : ص/١٨٥ -للرازي .
(٢) د/أحمد العسال ، د/فتحي عبد الكريم ، النظام الاقتصادي في الإسلام : ص/٤٠ .

وما الناس إلا خلفاء في استعمالها والاستفادة منها ، سواء كانوا أفراداً أم جماعات ، مما جعل المجال مفتوحاً للملكية الفردية إلى جانب الملكية العامة ، كل منهما يعمل في مجاله الخاص به من منطلق التعاون والتكامل الوظيفي فيما بينهما لتحقيق الأهداف التي قصدها المالك الأصيل من تشريعها ، وليس على أساس التناحر والتضارب فيما بينهما .

صور الاستخلاف : ويحصل الاستخلاف في صور ثلاث :

١- الاستخلاف الفردي .
٢- الاستخلاف الاجتماعي .
٣- استخلاف بيت المال .

١- الاستخلاف الفردي : هو "حكم شرعي مقدر في العين أو المنفعة يقتضي تمكن من يضاف إليه من انتفاعه بالمملوك والعوض عنه من حيث كذلك إلا لمانع" (١) ، واعتبار الحكم شرعي لأن جميع الحقوق في الشريعة الإسلامية والتي منها حق الفرد في التملك ، لا تثبت لمن اختص بها إلا بتقدير الشارع وإثباته عن طريق ما شرع من أحكام ، فالشارع هو الذي وضع الأسباب التي يترتب عليها الملك ، وعليه فإن مستند الاستخلاف الفردي هو الحكم الشرعي ، وليس طبيعة الإنسان ولا توظيف المجتمع ، لأن ما هو حق للعبد إنما يثبت كونه حقاً له بإثبات الشرع ذلك له ، لا لكونه مستحقاً لذلك بحكم الأصل ، وبعبارة أخرى : "إن حق الفرد في التملك منبثق من تخصيص اللّه له بهذه الملكية بسبب مشروع وليس موظفاً على ملكيته من قبل الجماعة أو المجتمع ، وليس الجماعة هي المالك الحقيقي لأن الفرد أحرزها بحكم اللّه وبتخصيص من التشريع الإلهي نفسه" (٢) .

---

(١) شهاب الدين أبو العباس بن إدريس المشهور بالقرافي : "الفروق" : ج/١ ، ص/٢٠٨ .
(٢) محمد المبارك : مصدر سابق : ص/٧٦ .

فعقيدة الاستخلاف .. ترد الملك كله إلى الله تعالى ، وتجعل الناس مجرد مستخلفين فيه للانتفاع به لأن الاستخلاف الفردي ما هو إلا حكم شرعي يثبت للفرد بإذن الشارع لا بحكم طبيعة الإنسان كما ذكرنا ، وإحاطة هذا الحق الفردي بالقيود سواء فيما يتعلق بمحله أو طرق كسبه وتنميته وإنفاقه ، وإضافته مرة إلى الجماعة ، ومرة إلى الأفراد بهدف التنبيه إلى أن حق الفرد فيما لديه من مال ليس حاجزاً عن حق الجماعة فيه ، فما من حق للعبد إلا وفيه حق لله (١) ، وعلى ذلك فالحق الفردي ليس ذا صفة طبيعية و لا فردية مطلقة في المذهب الاقتصادي الإسلامي ، لأن الحقوق الشرعية كلها منح من الله للعباد ، وهو تعالى يعطيها مقيدة ولا يعطيها مطلقة (٢) ، بل هو ذو طبيعة مزدوجة اجتماعية فردية ، فما من حق للعبد إلا وفيه حق لله تعالى ، وحق الله هو ما يتعلق به النفع العام من غير اختصاص بأحد فينسب إلى الله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه (٣) ، وهو ما يعبر عنه بالمصلحة العامة .

٢- الاستخلاف الاجتماعي : ويراد به إذن الشارع للجماعة بالاشتراك في الانتفاع بالعين ، والأعيان التي يتحقق بها هذا الاستخلاف هي ما جعلها الشارع للجماعة مشتركة بينهم وحال حيازه الأفراد لها ، وذلك كالأنهار والعيون والغابات والطرقات والساحات ، وما ينبت في الأرض من كلأ ، وما يظهر فيها من معادن ، فهي شركة انتفاع بالأشياء دون أن يستأثر بها أحد من الجماعة .

---

(١) شهاب الدين أبو العباس بن إدريس المشهور بالقرافي : "الفروق" : ج/١ ، ص/١٤١ ، طبعة عالم الكتب .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : "التكافل الاجتماعي في الإسلام" : ص/٢٣ ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤م .

(٣) صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود البخاري : "شرح التلويح على التوضيح" : ج/٢ ، ص/١٥١ ، طبعة دار الكتب العربية الكبرى -القاهرة .

والأموال التي تكون موضوع الاستخلاف الاجتماعي ولا يجوز للأفراد تملكها هي الأموال التي تكون مرصودة للمنافع العامة ، ولا يمكن أن تستوفي أغراضها حينما تكون محلاً للاستخلاف الفردي ، وهذا راجع إما لكون طبيعة تكوينها تمنع من اختصاص الأفراد بحيازتها ، وذلك كالطرق والأنهار، وإما لكونها أصبحت من مرافق الجماعة وضرورياتها ، وإن كانت في الأصل قابلة للتملك الفردي ،وذلك كعين ماء ، فإنها خاضعة في الأصل قابلة للتملك الفردي ، لكن لو صارت من مرافق الجماعة في بيئة معينة تدخل في الاستخلاف الاجتماعي .

وكذلك الأموال التي تكون فيها الثمرة غير متكافئة مع العمل الذي ينتجها ، وذلك كالمعادن التي تكون في باطن الأرض ، فإن الثمرة التي تجنى منها لا يتكافأ معها العمل الذي بذل من أجل استخراجها إذ من شأن التمليك الفردي لهذه الأشياء أن يترتب عليه ضرر كبير بالناس ، ونفع كبير مفرط للأفراد ، فكان العدل أن لا تثبت بها الملكية الفردية (١) .

وأيضاً الأموال التي آلت من الإباحة العامة للأفراد أو ملكيتهم إلى ملكية الأمة ، و ذلك كالأوقاف الخيرية ، و الأراضي التي فتحت عنوة ، وكذا أرض الحمى ، وذلك كحمى رسول الله ﷺ لمكان اسمه النقيع وتخصيصه لخيل الجهاد ، وكحمى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده ﷺ ، وما فعله عمر في أرض السواد حيث أبقاها فيئاً عاماً للمسلمين ولم يقسمها على المقاتلين ، وكالموارد التي نص عليها الرسول الكريم ﷺ بقوله : "المسلمون شركاء في ثلاث ، في الكلأ والماء والنار" (٢) .

---

(١) محمد أبو زهرة : "التكافل الاجتماعي في الإسلام" : ص/٣٩ .

(٢) الشوكاني : "نيل الأوطار" : ج/٥ ، ص/٣٤٤ ، طبعة الحلبي ، وانظر في الموضوع : الأحكام السلطانية" -للماوردي : ص/١٨٥ ، و "الاستخلاف الاجتماعي في الإسلام" ص/٨٠ ، "رسالة ماجستير" -لعبد الجبار حمد عبيد السبهاني ، كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٥م ، والقاضي أبو يوسف : "الخراج" ص/٢٦ ، الطبعة السلفية ١٣٩٢هـ بمصر .

ويقاس على ذلك كل ما تتعلق به مصلحة الأمة من الموارد ويصبح من الموارد الضرورية لها فليس الأمر مقصوراً على الصور التي ذكرناها على أن هذه الموارد ليست توقيفية فإنها تختلف من عصر إلى عصر ، فإن قواعد الشريعة الإسلامية تقضي بأن كل ما كان مثل هذه الموارد ضرورياً للمجتمع لا يصح أن يترك تملكه لفرد أو أفراد إذا كان ينشأ عن احتكارهم له استغلال حاجة الجمهور إليه بل يجب أن تشرف الدولة على استثماره وتوزيعه على الجمهور (١) .

٣- استخلاف بيت المال : وبيت المال شخصية اعتبارية ، والأموال التي تقع في مجال استخلافه هي كل مال استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال (٢) ، وفي ضوء ذلك يصبح كل من الفيئ والخراج والجزية ومال من لا وارث له وما أشبه ذلك داخلاً تحت استخلاف بيت المال .

والفرق بين الأموال التي تقع في مجال استخلاف بيت المال ، والأموال التي تقع في مجال الاستخلاف الاجتماعي ، هو أن الأموال موضوع استخلاف بيت المال قابلة للتملك الفردي ، وذلك كمال من لا وارث له ، والخراج ، إلا أنه تعلق به حق لعامة المسلمين من غير تعين المالك منهم ، فيصير ملكاً لبيت المال ، يتصرف به الخليفة وفق مقتضيات المصلحة العامة ، لأن ما كان الحق فيه لعامة المسلمين فالتدبير فيه للخليفة ، بخلاف الأموال التي تقع في مجال الاستخلاف الاجتماعي فإنها غير قابلة للتملك الفردي لما تشتمل عليه من منافع عامة جعلتها من مرافق الجماعة وضروراتها التي لا تستغنى عنها .

و هناك فرق آخر بين أموال كل من الاستخلافين ، ناتج عن مدى سلطان الإمام في تصرفه بكلا المالين ، إذ أن الدولة وإن كانت تقوم بإدارتهما و تدبيرهما غير أن ما كان داخلاً في مجال الاستخلاف الاجتماعي لا يجوز لها أن تعطي أصله لأحد ، أو تتصرف فيه تصرفا يخرجه عن ملكية جماعة المسلمين ، وذلك كساحات وميادين البلدة

---

(١) الشيخ مصطفى السباعي : "اشتراكية الإسلام" ص/٨٣ ، الطبعة الثانية .
(٢) الماوردي : "الأحكام السلطانية" ص/٢١٣ .

بخلاف ما كان داخلاً في استخلاف بيت المال كالخراج والجزية فإنه يجوز لها ذلك .

والدولة في إدارتها لكل من هذين الشكلين - وهما ما يعبر عنه البعض بالملكية العامة - ليست مطلقة ، بل هي مقيدة في ذلك بمصلحة الأمة ، تماما كالملكية الفردية فهي مقيدة بحقوق الله ، والملكية الجماعية في الإسلام تخضع لنفس الحدود والقيود بسبب وجوب تخصيص المال العام للإنفاق على أغراض معينة حددتها الشريعة صراحة وتفصيلاً ، ونتيجة لوجود الواجبات العامة تفرضها الشريعة على الجماعة والتي تسمى فروض الكفاية ، هذا النوع من التكاليف التي تقع على عاتق الجماعة تجعل ملكيتها محدودة مقيدة من حيث أهدافها ، ومن حيث الانتفاع بها واستعمالها (١) .

و هكذا تتجلى محاسن الاقتصاد الإسلامي بجعله الاستخلاف الاجتماعي واستخلاف بيت المال تحت إدارة الدولة المباشرة بهدف تحقيق حاجات ومصالح الأمة العامة ، وإقامة مرافقها الضرورية ، قد أتاح للدولة ممارسة دور فعال ، وتحقيق وجود فعلي في الحياة الإقتصادية ، مما أخرجها من دائرة الوظائف التقليدية التي عرفت بها الدولة الحارسة في المذهب الفردي ، غير أنه لم يبسط يدها إلى كل أموال الأمة ومواردها كما فعل المذهب الماركسي بإلغائه للملكية الفردية ، مما جعله - أي الاقتصاد الإسلامي - يحقق التوازن بين السلطة والمجتمع ، وبين المصلحة العامة والخاصة ، وأن يوفر الحوافز الباعثة على النشاط الاقتصادي ، وأن يحتاط لمصالح وضرورات المجتمع العامة ، فلم يجعلها تحت إدارة الأفراد وملكيتهم ، مخافة أن يتسرب إليها شئ من الاحتكار ، أو أن تسمح هذه الملكية بنوع من الاستغلال ، أو سوء التصرف ، فتضار مصلحة الأمة بذلك (٢) .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) عبد الهادي علي : "الإسلام والاقتصاد" ص/٨١ ، طبعة دار المعرفة ١٩٨٣م - الكويت ، وتقي الدين النبهان : "النظام الاقتصادي في الإسلام" ص/١٨٢ ، مطبعة القدس ١٩٥٣م ، و "الاشباه والنظائر" ص/١٣٤ -للسيوطي ، طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر .
(٢) د/أحمد الكبيسي : "الحاجات الاقتصادية" ص/٨٢ .

إعجاز القرآن والقول بالصرفة

السيد راشد نسيم الندوي

إن القرآن الكريم أعجز أرباب البيان وأئمة الكلام وأعجز عباقرة العلم وجهابذة الفن عن أن يأتوا بمثله وبما يدانيه ويساويه في البيان والأسلوب والعلم ، انطلاقاً من هذا أقبل العلماء على دراسة إعجاز القرآن الكريم في جوانب شتى وانتهجوا فيها مناهج مختلفة وذهبوا مذاهب كثيرة

فلقد اتجه كثيرة من الدراسات اتجاهاً مباشراً للبحث عن وجوه الإعجاز ودلائله ، ثم اختلفت الأنظار والآراء وتعددت المذاهب والمسالك فيها ، فإن القرآن معجز لا شك فيه ولا ريب ، ولكن ما هي الوجوه التي أعجزت العرب أن يأتوا بمثله ، فانصرفت إليه همم الباحثين والدارسين ليقعوا على الوجه الذي عجز العرب عن مقاومته ، من أي وجه جاء هذا الإعجاز ، أمن جهة ألفاظه أم من جهة تركيب عباراته وجمله ، أم من جهة معانيه التي احتوتها آياته وسوره ، أم من جهة علومه ومعارفه التي اكتنفها القرآن وتحدث عنها في خلال أحكامه ومواعظه ، فذهب بعضهم مذهباً يحومه مس من الشذوذ ويكاد يخالف موقف الباحثين والراسخين في العلم وهو القول بالصرفة .

والصرفة : معناه اللغوي ردّ الشئ عن وجهه وأرادوا به أن العرب إنما عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن أو بسورة من مثله ، لأن الله سبحانه قد صرفهم وردّهم عن ذلك وأمسك بهم أن يقوموا له ، ولو قاموا له ، وقالوا لكان في وسعهم أن يقولوا مثل قوله ، لأنه من جنس الكلام الذي جرى على ألسنتهم شعراً ونثراً ، وألقى الضوء على هذا المذهب الناقد

الأديب الرافعي بقوله ، قالوا : "إن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقاً للعادة ، قلنا وكأنه في هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن" (١) .

أما الزرقاني فإنه شرح هذا المذهب بقوله : "إن صارفاً إلهياً زهدهم في المعارضة ، وإن عارضاً مفاجئاً عطل مواهبهم البيانية وعاق قدرهم البلاغية وسلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همتهم إليها" (٢) .

نحن نجد الخطابي يشرح هذا المذهب شرحاً وافياً في تفصيل وإيضاح فنذكره حتى يتمثل لنا هذا المذهب بأبعاده الأربعة .

"وذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه (أي القرآن) الصرفة ، أي صرف الهمم عن المعارضة ، وإن كانت مقدوراً عليها ، غير معجوز عليها ، إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجارى العادات صار كسائر المعجزات ، فقالوا : ولو كان الله عزّوجل بعث نبياً في زمان النبوات ، وجعل معجزته في تحريك يديه أو مدّ رجله في وقت قعوده بين ظهراني قومه ، ثم قيل له : ما آيتك ؟ فقال : آيتي أن أخرج يدي أو أمد رجلي ، ولا يمكن أحداً منكم أن يفعل مثل فعلي ، والقوم أصحاء الأبدان لا آفة بشئ من جوارحهم ، فحرك يده أو مدّ رجله فراموا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدروا عليه ، وكان ذلك آية دالة على صدقه ، وليس ينظر في المعجزة إلى عظم حجم ما يأتي به النبي ولا إلى فخامة منظره ، وإنما تعتبر صحتها بأن تكون أمراً خارجاً عن مجارى العادات ، ناقضاً لها ، فمهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالة على صدق من جاء بها" (٣) .

القائلون بالصرفة :

قيل أول من فتح الطريق إلى هذا القول هو النظام (٤) ، يقول الشهرستاني في كتابه الشهير "الملل والنحل" : "زعم النظام أن إعجاز القرآن بالصرفة ، و أن الله صرف العرب عن معارضته و سلب عقولهم

وكان مقدوراً لهم لكن عاقهم أمر خارجي" (٥) .

ومن القائلين بالصرفة ، الشريف المرتضى (٦) ، قد ذكر الشهرستاني قوله بالصرفة في كتابه المذكور ، وهو " بل صرفهم ، أي الله ، بأن سلبهم العلوم التي تحتاج إليها في المعارضة فهذا الصرف خارق للعادة فصار كسائر المعجزات" (٧) .

وعزى الزرقاني هذا القول إلى إسحاق الاسفرائيني (٨) أيضاً ، ولكننا لم نعثر على مصدر موثوق به يذكره فيمن قال بهذا القول .

كذلك ينسب هذا القول إلى الجاحظ (٩) أيضاً ، وإن كان هو في الواقع القائل بإعجاز القرآن ببلاغته ونظم بيانه غير أن العلماء والباحثين قد وجدوا في كتابه : "الحيوان" ما يدل على قوله بالصرفة فهو يقول : "ومثل ذلك ما وقع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه" (١٠) .

وفيما نظن أن الجاحظ قد توارث هذا الرأي من شيخه وأستاذه النظام ، ولكنه لم يقتنع بهذا القول ولم تجنح نفسه إليه ففكر فيه وقلب الأمر من وجوه ثم استقر رأيه في الإعجاز أنه في النظم ، وفي نهاية الكلمة تكرر أسماء الذين اشتهروا بقولهم بالصرفة ، وهم النظام من المعتزلة ، والاسفراني من أهل السنة ، والشريف المرتضى من الشيعة ، وليست الغاية سرد قائمة أسمائهم بأسرها .

دراسة نقدية على هذا القول :

قد أشرنا فيما سبق إلى أقوال القائلين بالصرفة فلا نكون بعيدين عن حيزنا المحدد إذ نلقى نظرة نقدية على هذا القول ، فلو كان العرب صرفوا عن معارضة القرآن وسلبت مقدرتهم البيانية وحرموا من مؤهلاتهم الكلامية ليكونوا عاجزين عن الاتيان بمثل آيات القرآن وسوره لما نجدهم خاضعين أمام جلالة معاني القرآن الكريم وروعة أسلوبه ، ولكن الأمر بالعكس من ذلك ، فإن التاريخ حفظ لنا كثيراً من الروايات

التي تشهد على هيامهم بالقرآن والإعجاب به ممن آمن ، والدهشة والتحير عليه ممن لم يؤمن .

فقصة الوليد بن المغيرة تشهد على تحير مخالفي الرسول ودعوة القرآن فيروى ابن عباس رضي الله عنهما ، ويقول : "إن الوليدبن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ ، فلما قرأ عليه القرآن كأنه دق له فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال له : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله (بكسر القاف وفتح الباء) ، قال الوليد : لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره ، قال : وماذا أقول : فوالله ما فيكم من رجل أعلم مني بالشعر لا برجز ولا بقصيدة ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً في هذا ، و والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمنير أعلاه ، مثمر أسفله وأنه ليعلو ولا يعلى ، وإنه يحطم ما تحته ، قال أبو جهل للوليد : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، فقال الوليد : دعني أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يأثره عن غيره ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ۝ وجعلت له مالاً ممدوداً ۝ وبنين شهوداً ۝ ومهدت له تمهيداً ۝ ثم يطمع أن أزيد ۝ كلا ! إنه كان لآياتنا عنيداً ۝ سأرهقه صعوداً ۝ إنّه فكّر وقدّر ۝ فقتل كيف قدّر ۝ ثم قتل كيف قدر ۝ ثم نظر ۝ ثم عبس وبسر ۝ ثم أدبر واستكبر ۝ فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ۝ إن هذا إلا قول البشر ﴾ (١١) .

[رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط البخاري (١٢)]

لذلك نجد الذين أوتوا حظاً وافراً من الذوق السامي و العلم الراسخ لا يعدون القول بالصرفة شيئاً بل يخالفونه و يدمجونه ، و منهم الشهرستاني (١٣) الذي يقول عن هذا القول : "هذا قول فاسد بدليل قوله تعالى : ﴿ قل : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ۝ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (١٤) ، فإنه أي قول الله

سبحانه وتعالى في هذه الآية ، يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم ، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى (١٥).

والباقلاني (١٦) : "لا يعد فضيلة الكلام على غيره إذا سلم القول بالصرفة فإننا نجده قائلاً : ومما يبطل القول بالصرفة أنه كانت المعارضة ممكنة ومنع منها ، لم يكن الكلام معجزاً ، وإنما يكون بالمنع معجزاً فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه" (١٧) .

ولم يقنع على هذا القول الزركشي أيضاً فأبان وجوه الفساد في هذا الرأي بطرق عديدة في كتابه البرهان في علوم القرآن (١٨) .

ولا يرضى بهذا القول أديبنا اللبيب وناقدنا الفقيد الرافعي فيقول : "وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه" ﴿ إن هو إلا سحر يؤثر ﴾ وهذا زعم رده الله على أهله وأكذبهم فيه وجعل القول به ضرباً من العمى ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو الشئ الواحد (١٩) .

يدل على فساد ذلك بأنه لو كان الله أعجزهم عن المعارضة بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن بل كان يجب أن يكون تعجبهم في تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً عليه (٢٠) .

فأصبح لنا القول ممكنا بأن القرآن الكريم معجز بنفسه دون صارف ومانع من خارجه ومعجز بجزالة ألفاظه وروعة كلماته وفصاحة أسلوبه ، ودقة تعبيره عن المعاني السامية ، ثم معجز باتزان أحكامه وتأثير عبره ، ألا وهو كلام الله المجيد .

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه * ولا من خلفه * تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٢١)

---

(١) إعجاز القرآن – مصطفى صادق الرافعي : ص/١٨٨ .

(٢) مناهل العرفان : ج/٢، ص/٤١٤.(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ص/٢١.

(٤) و هو أبو إسحاق بن سيار النظام [ت ٢٢٠هـ] و هو أحد رؤوس المعتزلة و من

تلامذته الجاحظ ، وكان شاعراً أديباً بليغاً ، وله كتب عديدة في الفلسفة والاعتزال ، الأعلام –للزركلي : ج/١ ، ص/٤٣ . (٥) الملل والنحل : ج/١ ، ص/١٤٢ .

(٦) وهو علي بن حسين الشريف المرتضى [٣٥٥-٤٣٦هـ] أحد أعلام وفقهاء الشيعة في عصره ببغداد ، كان شاعراً مجيداً ، ومؤلفاً مكثراً من أهم مؤلفاته : "الأمالي" ، الأعلام : ج/٤ ، ص/٢٧٨ . (٧) الملل والنحل : ج/١ ، ص/١٤٢ .

(٨) هو إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الأسفرانيني [ت ٤١٨هـ] من كبار علماء الفقه والأصول ، وله كتاب : "الجامع في أصول الدين" ورسالة في أصول الفقه ، وفيات الأعيان : ج/١ ، ص/٤ .

(٩) هو عثمان بن بحر الجاحظ [١٦٣-٢٥٥هـ] من أساطين الأدب وأئمته نال مكانة الإمامة في الأدب بأسلوبه المشرق ، كان يميل إلى الاعتزال ، حظيت مؤلفاته بالقبول في الأجيال والأمصار عبر القرون ، من مؤلفاته : "الحيوان" و "البيان والتبيين" و "البخلاء" وغيرها ، وفيات الأعيان : ج/١ ، ص/٣٨٨ .

(١٠) الحيوان : ج/١ ، ص/٣١ . (١١) سورة المدثر ، الآيات/١١-٢٤ .

(١٢) مناهل العرفان : ج/٢ ، ص/٣١١ .

(١٣) هو محمد بن عبد الكريم الشهرستاني [ت ٥٤٨هـ] متكلم من فلاسفة الإسلام ومؤرخي الأديان في القرون الوسطى ، اشتهر بكتابه : "الملل والنحل" استعرض فيه المذاهب الدينية والفلسفية ، وفيات الأعيان : ج/١ ، ص/٤٨٢ .

(١٤) سورة الإسراء ، الآية/٨٨ . (١٥) الملل والنحل : ص/١٤٣ .

(١٦) الباقلاني هو محمد بن الطيب الباقلاني [٣٣٨-٤٠٣هـ] من كبار علماء الكلام ، وانتهت إليه رياسة مذهب الأشاعرة في عصره ، وله مؤلفات قيمة منها : "إعجاز القرآن" ، انظر : وفيات الأعيان : ج/١ ، ص/٤٨١ .

(١٧) إعجاز القرآن –للباقلاني : ص/١١٨ .

(١٨) للتفصيل ، انظروا البرهان : ج/٢، ص/٩٤ .

(١٩) إعجاز القرآن –للرافعي : ص/١٩٠ .

(٢٠) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص/٦. (٢١) سورة فصلت : الآية/٤٢.

أعلام السنة والحديث :

الإمام الطحاوي ، محدث عصره

بقلم : أ.د/تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث والسنة النبوية الشريفة

عصر الإمام الطحاوي :

عاش الطحاوي رحمه اللّه معظم عمره في القرن الثالث الهجري ، فقد ولد ٢٢٩هـ أو ٢٣٩هـ على اختلاف القولين ، وتوفي عام ٣٢١هـ ، كان هذا العصر عصراً رائعاً جليلاً ، نمت فيه العلوم الإسلامية لا سيما في بغداد ، فقد نمت المذاهب الأربعة ودونت وأصبح معظم الناس أتباعاً لها ونمت علوم القرآن ، لا سيما التفسير ، وألفت الكتب الكثيرة في السيرة النبوية والمغازي والتاريخ والطبقات ، وأسست علوم العربية خدمة للقرآن الكريم ، كما أن سيول الثقافة الأجنبية قد انصبت على المجتمع المسلم و وجدت تشجيعاً عظيماً من بعض الخلفاء وترجمت الكثير منها إلى اللغة العربية .

أما علوم الحديث فقد بلغت في عصر الإمام الطحاوي دورها الذهبي ، ولقد سايرت علوم الحديث تدوين السنة في سيره ، فتقدمت تقدماً كبيراً بما قام به علماء هذه الطبقة من جهود كبيرة في تحرير علوم الحديث وتصنيف المؤلفات الكبيرة فيها ، ونظرة عابرة في كتاب : "الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة" تكفي للاطلاع على المؤلفات العظيمة في علوم الحديث لعلماء ذلك العصر .

لا شك أن الطحاوي كان في مصر التي كانت في عصره مركزاً علمياً هاماً تكاد تضارع بغداد .

قال السخاوي : افتتحها عمرو في زمن عمر رضي اللّه عنه وسكنها خلق من الصحابة وكثر العلم بها زمن التابعين ، ثم ازداد في زمن عمرو بن الحارث ويحيى بن أيوب وحيوة بن شريح والليث بن سعد ، والي زمن ابن وهب

والشافعي وابن القاسم وأصحابهم(١) والرحلات العلمية بين الأقطار الإسلامية تربط بينها ، وأدرك الطحاوي عصر أصحاب الشافعي منهم المزني الذي كان أستاذاً له .

وبرزت تيارات معادية للإسلام بيد أن يقظة الخلفاء استطاعت أن تتصدى لهذه التيارات ، فقد كانت الكلمة العليا في المجتمع الإسلامي للعقيدة الإسلامية ولأهل السنة والجماعة .

هذه كلمة موجزة عن عصر الإمام الطحاوي لا سيما في الناحية العلمية .

١- اسمه ونسبه :

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزهري الحجري المصري الطحاوي .

ولد الطحاوي في سنة تسع وثلاثين ومائتين (٢) ، ونقل ابن خلكان (٣) عن

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : ص/٢٩٤ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٢٧٤/١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ : ص/٨٠٨ ، القرشي : الجواهر المضيئة : ج/١ ، ص/١٠٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج/٣، ص/٢٣٩ ، ابن الجوزي : المنتظم : ج/٦ ، ص/٢٥٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج/١٥، ص/٢٧ ، السمعاني : الأنساب : ج/٨ ، ص/٢١٨ ، الحجري بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى ثلاث قبائل ، اسم كل واحد حجر : أحدهما حجر حمير ، والأخرى حجر رعين ، والثالثة حجر الأزد ، هكذا أورده صاحب "الأنساب" : ج/٤ ، ص/٦٦-٦٧ ، وقد أخطأ ابن الأثير في اللباب : ٢٨١/١ ، فقال : حجر رعين هو حجر حمير ، يعني أن هناك حجرين : حجر رعين وحجر الأزد لا غير ، من الأزد الطحاوي ، والأزد : قبيلة مشهورة من قبائل اليمن ، وفيات الأعيان : ٧٢/١ .

الطحاوي : نسبة إلى طحا قرية من أعمال مصر (سير اعلام النبلاء : ٢٧/١٥) ، وقال السيوطي : إنه ليس من نفس طحا وإنما هو من قرية قريبة منها ، يقال لها طحطوط ، فكره أن يقال له طحطوطي ، لب اللباب : ج/١ ، ص/١٦٧ ، والفوائد البهية : ص/٢٥ ، [ط/الهند] .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج/١ ، ص/٧٢ .

السمعاني أنه قال ولد سنة ٢٢٩هـ تسع وعشرين ومائتين ، وهو الصحيح ، وذكر ابن كثير أنه توفي في مستهل ذي القعدة منها عن اثنتين وثمانين سنة ، وذكر أبو سعيد السمعاني أنه ولد في سنة تسع وعشرين ومائتين ، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم (١) .

أما وفاة الطحاوي فيكاد يجمع المؤرخون على أنها كانت في سنة ٣٢١هـ إحدى وعشرين وثلاث مائة .

٢- نشأته وطلبه العلم :

وقد ظهر نبوغه في صغره ورزقه الله تعالى قلباً واعياً ، وذاكرة قوية وذهناً وقاداً .

إنه تلقى دروسه الأولى في البيت وحفظ القرآن ، كان خاله أبو إبراهيم المزني (٢) صاحب الإمام الشافعي يوجهه إلى العلم ، قال الطحاوي : أول من كتبت عنه الحديث المزني ، وأخذت بقول الشافعي ، فلما كان بعد سنين قدم أحمد بن أبي عمران قاضياً على مصر فصحبته وأخذت بقوله (٣) .

قال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر ، تفقه أولاً على خاله أبي إبراهيم إسماعيل المزني صاحب الشافعي ، وسمع منه كتاب السنن روايته عن الشافعي ، وغير ذلك .

وخرج الطحاوي إلى الشام فسمع ببيت المقدس وغزة وعسقلان ، وتفقه بدمشق على القاضي أبي حازم ورجع إلى مصر في سنة تسع وستين (٤) .

وكان أولاً على مذهب الشافعي ، ثم تحول إلى مذهب الحنفية لكائنة جرت له مع خاله المزني (٥) ، وقال محمد بن أحمد الشروطي ، قلت للطحاوي : ولم

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ج/١١ ، ص/١٨٦ .

(٢) وكان زاهداً عالماً مجتهداً ، وإمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه توفي سنة ٢٦٤هـ وفيات الأعيان: ٢١٨/١. (٣) سير أعلام النبلاء: ٢٩/١٥. (٤) لسان الميزان : ٢٧٥/١ .

(٥) لسان الميزان : ٢٨٤/١ ، ومعجم البلدان : ٣٠/٦ ، الفوائد السنية : ص/٣٧ .

خالفت خالك واخترت مذهب أبي حنيفة ، فقال : لأني كنت أرى خالي يديم النظر في كتب أبي حنيفة فلذلك انتقلت إليه (١) ، وقال العلامة الكوثري : يعني بدأت أديم النظر فيها ، فاجتذبني إلى المذهب (٢) .

٣- شيوخه :

إن الحديث عن أساتذته لا يتسع له صدر هذا البحث ، لأن عددهم كبير حتى جمعهم بعض العلماء في جزء (٣) .

٤- تلاميذه :

لما برز الطحاوي في علم الحديث وفي الفقه جمع وصنف ، حدث عنه كثيرون ، منهم أبو القاسم الطبراني ، وأبو بكر بن المقرئ ، ومحمد بن المظفر ، وخلق سواهم من الدماشقة والمصريين والرحالين في الحديث (٤) ، جمعهم بعض العلماء في جزء (٥) .

٥- ثناء العلماء عليه :

كان الإمام الطحاوي أحد أعلام الإسلام في الفقه والحديث ، وكان من أوسع العلماء ، معرفة بحديث رسول الله ﷺ ، وفقهه ، وعلله ، ومتونه ، ورجاله .

١- قال أبو سعيد بن يونس (٦) : كان ثقة ، ثبتاً ، فقيهاً ، عاقلاً ، لم يخلف مثله (٧) .

٢- قال ابن الجوزي : كان ثبتاً فهماً فقيهاً عاقلاً (٨) .

٣- قال الذهبي : من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم وسعة

---

(١) وفيات الأعيان : ج/١ ، ص/٧١ . (٢) الحاوي : ص/٧ .

(٣) انظر : الجواهر المضيئة : ج/١ ، ص/١٠٤ ، ومقدمة أماني الأحبار : ص/٣٣-٤٢ .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء : ج/١٥ ، ص/٢٨ . (٥) انظر : الجواهر المضيئة : ج/١ ، ص/١٠٤ .

(٦) هو أبو سعيد بن يونس الحافظ الإمام الثبت عبد الرحمن بن أحمد بن الإمام يونس بن عبد الأعلى ، انظر : طبقات السيوطي : ص/٣٦٧ ، والنجوم الزاهرة : ج/٣ ، ص/٣١٣ .

(٧) تذكرة الحفاظ : ج/٣ ، ص/٨٠٩ . (٨) المنتظم : ج/٦ ، ص/٢٥٠ .

معارفه (١) ، وقال في ترجمته في "سير أعلام النبلاء" الإمام العلامة الحافظ الكبير ، محدث الديار المصرية (٢) .

٤- ويقول ابن تغري بردي : الطحاوي الفقيه الحنفي المحدث الحافظ أحد الأعلام وشيخ الإسلام كان إمام عصره - بلا مدافعة - في الفقه والحديث واختلاف العلماء والأحكام واللغة والنحو (٣) .

٥- قال ابن عباد : شيخ الحنفية الثقة ، الثبت ، برع في الحديث والفقه (٤) .

٦- قال ابن خلكان : انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر (٥) .

٧- ذكر الحافظ ابن حجر : في لسان الميزان (٦) حكى أبو جعفر الطحاوي أن رجلاً من أعيان الناس حضر عند القاضي محمد بن عبده ، فقال : في مجلسه تعرفون أيش روى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أمه عن أبيه ؟ قال أبو جعفر فذكرت له الحديث بإسناده من وجهين : رأيتك العشية مع الفقهاء في ميدانهم ، ورأيتك الآن في ميدان أهل الحديث ، وقل من يجمع ذلك فقلت هذا من فضل الله وإنعامه .

٨- قال العلامة السيد أنور شاه الكشميري : الإمام الطحاوي أعلم الناس بمذهب أبي حنيفة بل أعلم الناس بالمذاهب كلها ، وهو يروي عن الشافعي بواسطة وعن مالك بواسطتين ، وعن أبي حنيفة بثلاث وسائط ، وفي "كتاب الحج" من كتابه شرح معاني الآثار إجازة عن أحمد بواسطة ، والطحاوي إمام مجتهد ، ومجدد من حيث شرح الحديث ، وهو بيان محامل الحديث وغوامضه والبحث والتحقيق ، فهو إمام طريقته المبتكرة ، حيث إن القدماء يقتنعون برواية الأحاديث في كتبهم من غير أن يستعرضوا البحث والتحقيق كثيراً (٧) .

[للبحث صلة]

---

(١) سير أعلام النبلاء : ج/١٥ ، ص/٣٠ . (٢) نفس المصدر : ج/١٥ ، ص/٢٧ .

(٣) النجوم الظاهرة : ج/٣ ، ص/٢٣٩ . (٤) شذرات الذهب : ج/٢ ، ص/٢٨٨ .

(٥) وفيات الأعيان : ج/١ ، ص/٢٧ . (٦) ج/١ ، ص/٢٧٦ . (٧) معارف السنن : ج/١ ، ص/١١٤ .

العلامة الشريف السيد عبد الحيّ

ابن فخر الدين الحسني الرّائ بَريلوي

(١٢٨٦-١٣٤١هـ)

الأستاذ أبو سحبان روح القدس الندوي
أستاذ الحديث بدار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

[٣/الأخيرة]

و هاكم أسانيد الشيخ عبد الحي في الحديث بقلمه ، طبعت في حياته بمطبعة "انتظامي" الواقعة في بلدة كاتفور ، وليس عليها تأريخ الطبع مع الأسف :

❁ الأسانيد ❁

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد المرسلين وسند الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين ، أما بعد ! فيقول الفقير عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي كان الله له ولهم ، لما كان علم الحديث من أصول الفروض وجب الاعتناء به والاهتمام لضبطه وحفظه ولذلك يسّر الله سبحانه وتعالى للعلماء الذين حفظوا قوانينه وأحاطوا فيه فتناقلوه كابراً عن كابر وأوصوله كما سمعه أول إلى آخر فعظم نفعها في الإسلام وانتشر ذلك العلم في بلاد الحجاز واليمن وعراق العرب وبلاد مصر والشام وبلاد المغرب ، وأما الهند فلم يكن بها علم الحديث منذ فتحها أهل الإسلام بل كان غريباً كالكبريت الأحمر وعنقاء المغرب حتى منّ الله تعالى على الهند بإفاضة هذا العلم على بعض علمائها كالشيخ عبد الحق بن سيف الدين الترك البخاري الدهلوي المتوفى سنة اثنتين وخمسين وألف وأمثاله ، وهو أول من أفاض هذا العلم على سكان الهند ، وتصدى للدرس والإفادة وقصر همته على ذلك وصنّف وخرّج ونشر هذا العلم عن ساق الجد ، ثم تصدى له ولده المفتي نور الحق المتوفى سنة ثلاث وسبعين وألف ،

وكذلك بعض تلامذته وأولاده كشيخ الإسلام شارح البخاري ، و ولده الشيخ سلام الله الدهلوي صاحب "المحلي" و "الكمالين" ، ثم جاء الله سبحانه بالشيخ الأجل ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المتوفى سنة ست وسبعين ومائة وألف ، فإنه شمّر عن ساق الاجتهاد لنشر ذلك العلم فدرّس وأفاد وخرّج وصنّف ، وقد نفع الله بعلومه كثيراً من عباده المؤمنين ، فاتطمس سند من كان قبله من العلماء ، وكاد أن لا يوجد في الهند سند غير سند شيخ مشايخنا ولي الله المذكور ، وإني بفضل الله سبحانه ، وله الحمد ، لما تشرفت بملازمة شيخنا العلامة بقية الصالحين وعلم الفالحين خاتمة المسندين وعمدة المحدثين شيخنا حسين بن محسن الأنصاري اليماني ، فلازمته من زمن أيام الصغر ، وهلم جراً ، فقرأت عليه : "أوليات الشيخ محمد سعيد سنبل" و "بلوغ المرام" و "الحصن الحصين" و "جامع الترمذي" و "سنن أبي داود" و "صحيح مسلم" و "صحيح البخاري" قراءة تدبر وإتقان ، وسمعت عليه كثيراً من المتون والشروح ، و أخذت عنه "المسلسلات" ، و أجازني إجازة عامة و كتب لي الإجازة مرتين ، ثم منّ الله سبحانه عليّ بالمثول بين أيدي أئمة السنة والقراءة والسماع فأجازني السيد نذير حسين بن جواد علي الحسيني الدهلوي المحدث المشهور ، والقارئ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الباني بتي والشيخ الإمام الحجة الرحلة يتيمة الدهر وزينة العصر صاحب المقامات العلية والكرامات الجلية شيخنا ومولانا فضل الرحمن بن أهل الله البكري المُرادآبادي ، كلهم عن الشيخ المسند محمد إسحاق عن جده الشيخ عبد العزيز بن ولي الله .

ح و برواية شيخنا فضل الرحمن عالياً بدرجة عن شيخ مشايخه الشيخ عبد العزيز المذكور عن أبيه الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم بسنده المذكور في "الإرشاد بمهماة الإسناد" ، ثم إني بفضل الله سبحانه أروي الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع ، وغيرها من كتب الحديث بطرق

متعددة عن الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الترك البخاري الدهلوي المذكور ، كما أجازني المشايخ الأجلة الأعلام ، منهم الشيخ المحدث محمد شاه الرامفوري عن والده حسن شاه بن سيد شاه عن غلام حسين عن الشيخ سراج الحق شارح الترمذي عن الشيخ سلام الله صاحب "المحلى" و "الكمالين" عن والده شيخ الإسلام شارح "البخاري" عن والده الحافظ فخر الدين أبي المكارم عبد الصمد بن محب الله الدهلوي عن والده محب الله بن نور الله عن جده المفتي نور الحق بن عبد الحق عن والده الشيخ المحدث المسند عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله الترك البخاري الدهلوي .

ح و برواية شيخ الإسلام بن محب الله الدهلوي عالياً بدرجات عن جده العالي الشيخ عبد الحق بن سيف الدين المذكور ، لأن الشيخ عبد الحق أجاز لأولاده وأحفاده كما صرح به في كتاب "الإجازات" ، والإجازة بهذا الطريق جائزة عند المحدثين ومن هذه الطريقة بيني وبين الشيخ عبد الحق ستة وسائط وبينه وبين الشيخ جلال الدين السيوطي والشيخ القسطلاني واسطتين وبينه وبين الحافظ ابن حجر العسقلاني ثلاث وسائط كما في شرح البخاري لشيخ الإسلام ، ومنهم شيخنا ومولانا محمد نعيم ابن عبد الحكيم الأنصاري اللكنوي سمعت منه "المسلسل بالأولية" ، وقرأت عليه "شرح نخبة الفكر" ، وأجازني بجميع مروياته ومسموعاته عن المشايخ الكرام ، لا سيما عن والده الشيخ عبد الحكيم بن عبد الرب ابن عبد العلي محمد عن الشيخ نور الحق بن أنوار الحق عن الشيخ عبد العلي محمد عن والده الشيخ نظام الدين محمد عن الشيخ غلام النقشبندي عن الشيخ بيرمحمد ، ومنهم الشيخ أبو الحسين العلوي الحسيني المارهروي سمعت منه "المسلسل بالأولية" ، وهو أول حديث سمعته منه وهو أخذ عن جده آل رسول عن عمه السيد آل أحمد عن والده السيد حمزة بن آل محمد بن بركة الله الحسيني المارهروي عن الشيخ طفيل

محمد بن شكر الله الحسيني الأوترلوي عن الشيخ مبارك بن فخر الدين الحسيني الواسطي البلجرامي عن الشيخ أبي رضا بن إسماعيل الدهلوي عن جده لأمه الشيخ المسند عبد الحق بن سيف الدين الترك البخاري الدهلوي .

ح و إني صافحت السيد أبا الحسن المذكور وهو صافح جده المذكور وهلم جراً إلى السيد مبارك بن فخر الدين البلجرامي وهو صافح الشيخ نور الحق وهو صافح والده الشيخ المسند عبد الحق بن سيف الدين المذكور .

ح و إني أروي بفضل الله سبحانه عن سيدي الوالد بحق الإجازة عن جده لأمه السيد محمد ظاهر وعمه السيد خواجه أحمد بن ياسين النصيرآبادي وقد أجازني السيد الوالد بجميع الطرق المشهورة كما أجازه عمه عن السيد محمد بن أعلى شاه النصيرآبادي والشيخ سخاوت علي الجونفوري والشريف محمد بن ناصر الحازمي وخلق آخر .

وأما جده السيد محمد ظاهر والسيد محمد بن أعلى شاه فكلاهما عن السيد الشهيد السعيد أحمد بن عرفان الحسني الحسيني البريلوي .

ح و إني أروي عن الشيخ الصالح أمين الدين أحمد الكهنتوي عن الشيخ الأجل عبد الغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي المهاجر إلى المدينة المنورة عن ابنه عن خاله الشيخ سراج أحمد عن أبيه عن جده عن الشيخ الإمام أحمد بن عبد الأحد العمري السرهندي .

ح و إني أروي "بلوغ المرام" عن القاضي محمد بن عبد العزيز المجهلي شهري عن الشيخ المعمر عبد الحق بن فضل الله النيوتني عن القاضي محمد بن علي الشوكاني صاحب "النيل" و "السيل" نفعنا الله ببركاتهم" .

[انتهى نص الأسانيد]

هذا ما سنح لي من الوقوف على أخبار صاحبنا الشيخ عبد الحي الحسني وذكر خصائص سلالته البارزة ، مع إطلالة على رجال معروفين

بالعلم و المعرفة في القرون الثمانية الغابرة (أعني من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر الهجري) مع الإلمام بذكر شيوخه في الحديث و ما إليه ، ورحلته في أخذ العلم والحديث ، وأسانيده فيه حسب المستطاع معترفاً بقصور الباع .

أما مؤلفاته الضخمة الدسمة في تراجم أعلام الهند و وفياتهم ، وتأريخ مساهمتهم في العلوم والفنون ، وفي تأريخ الهند في عهدها الإسلامي خططاً وآثاراً وما إليها ، وكذا رسائله المختصرة اللطيفة بالعربية والأردية والفارسية على السواء في الحديث والفقه والطب والأدب وفقه الأطفال ، وكذا مذكراته ورحلاته فتنيف على العشرين وكلها مفيدة ممتعة ، فهاكم الثبت التالي لمؤلفاته ورسائله :

١- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، طبع بحيدرآباد الدكن في ١٣٦٦-١٣٩٠هـ ، والثانية في ١٣٨٢-١٤٠٢هـ ، والثالثة في لكناؤ سنة ١٤١٢-١٤١٣هـ باسم : "الإعلام بمن في تأريخ الهند من الأعلام" في ثمانية مجلدات .

٢- معارف العوارف في أنوع العلوم والمعارف ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٧هـ، والثانية ١٤٠٣هـ بدمشق باسم : "الثقافة الإسلامية في الهند"، ونقله إلى الأردية شيخنا العلامة أبو العرفان خان الندوي [ت ١٩٨٨م] ، أحد العلماء المبرّزين في التأريخ والأدب وعلم الكلام ، طبع بدار المصنفين بأعظم كره .

٣- جنة المشرق ومطلع النور المشرق : في جغرافية الهند وخططها وآثارها طبع بحيدرآباد سنة ١٣٩٢هـ باسم : "الهند في العهد الإسلامي" ، وترجمه إلى الأردية الشيخ الفاضل د/شمس تبريز خان ، طبع في لكناؤ سنة ١٣٩٣هـ .

٤- تلخيص الأخبار : طبع بـ بيروت سنة ١٣٩٤هـ باسم "تهذيب الأخلاق" ، وتلتها طبعات في لكناؤ ، ثم في دولة قطر بغير تأريخ ، وهو الكتاب

الذي قام بشرحه وتخريج أحاديثه هذا العبد الضعيف ، وسماه : "روائع الأخلاق شرح تهذيب الأخلاق" ، وقد طبع في لكناؤ سنة ١٤١٩هـ .

٥- منتهى الأفكار في شرح تلخيص الأخبار : لم يطبع وهو في خزانة الكتب بمكتبة ندوة العلماء في لكناؤ ، يترقب اعتناء الباحثين بإخراجه إلى عالم النور .

٦- كتاب الغناء : طبع أول مرة بلكناؤ في سنة ١٤١٦هـ باسم : "الغناء في الإسلام" اعتنى به السيد بلال عبد الحي .

٧- التعليقات على سنن أبي داود : ولم يتمه .

٨- شرح المعلّقات السبع : ولم يتمه .

٩- القانون في انتفاع المرتهن بالمرهون : لم يطبع ، كلها بالعربية .

أما مؤلفاته بالأردية فعلى النحو التالي :

١٠- كُل رَعْنا : كتاب هام في تذكرة شعراء الأردية وشعرهم ، طبع بدار المصنفين في أعظم كره سنة ١٣٤٢هـ ، ثم تلتها طبعات .

١١- يادِ ايّام : في تأريخ مقاطعة غجرات مع الإلمام بذكر علمائها وأعلامها ، ظهرت الطبعة الأولى بعليكره في سنة ١٣٣٧هـ ، ثم الثانية في لكناو سنة ١٤٠٣هـ ثم ترجمته في اللغة الغجراتية سنة ١٤٠٦هـ .

١٢- أرمغان أحباب : الطبعة الأولى في ١٩٥٨م ، والثانية باعتناء السيدة صابرة ذكي في ١٩٨٨م ، وكلتاهما بدلهي باسم : "دهلي آور اُس كے اطراف" ، وهي مذكرات رحلة قام بها المؤلف إلى دهلي وما يجاورها في سنة ١٣١٢هـ .

١٣- ريحانة الأدب و شمامة الطرب : في علم النحو و التصريف ، ولم يتمه .

١٤- تعليم الإسلام : فيما يجب على المسلم معرفته ، للناشئين في أسلوب سهل ، الطبعة الأولى بلكناؤ في سنة ١٣٢٩هـ ، ثم صدرت له طبعات كثيرة .

١٥- نور الإيمان : في العقيدة الإسلامية والسيرة النبوية للأطفال ، طبع في لكناؤ سنة ١٣٢٧هـ ، ثم أعيد الطبع أكثر من مرة .

١٦- تذكرة الأبرار : في تراجم المشايخ الأعيان من أسرته ، بالفارسية لم يطبع .

١٧- هندوستان كا نصاب درس : في تأريخ منهج التعليم للمدارس الدينية في الهند ، طبع غير مرة .

١٨- طبيب العائلة : خبرات المؤلف في الصناعة الطبية ، الطبعة الأولى بلكناؤ في سنة ١٩١٢م .

١٩- قرابا دين : في الصناعة الطبية ، لم يطبع .

٢٠- بياض : وضعه مثل الكُنّاشة ، ضاع في حياته .

٢١- إصلاح : في إصلاح ذات البين ، طبع غير مرة ، طبعتها أولاً مطبعة غلشن أحمدي عام ١٩١٨م .

٢٢- الأسانيد : نشرته مطبعة انتظامي بكانفور ، قديماً .

هذا وقد نشأ في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ثلة من العلماء المخلصين الغيارى المتألمين بواقع المسلمين التعليمي والحضاري ، وعلى رأسهم الإمام الهمام الزاهد الحجة الشيخ محمد علي بن عبد العلي بن غوث علي الكانفوري ثم المونغيري [١٢٦٢-١٣٤٦هـ] ، أحد العلماء الربانيين المشهورين في الهند ، "وهو الذي أسس ندوة العلماء سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف ، لإحياء المدارس العربية ، وإصلاح نظام الدرس ، ورفع النزاع من الفرق الإسلامية ، والذب عن الإسلام ، فبارك الله في مساعيه ، وأسس أعضاء الندوة مدرسة عظيمة بمدينة لكناؤ سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف ، وهي التي اشتهرت بدار العلوم ، نفع الله بها المسلمين" (١) .

---

(١) الإعلام : ٨/٤٧٠-٤٧١ .

صادف ذلك رغبة الشيخ عبد الحي الحسني وذوقه ، فشارك في نشاط حركة ندوة العلماء ، وأعمال دار العلوم التابعة لها ، وحاز ثقة أعضائها فاختاروه مديراً لشئونها في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف ، ولم يزل على هذا المنصب إلى أن توفي لخمس عشرة ليلة خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف (١) .

"كان مجبولاً على الانصراف التام إلى العمل ، قليل الكلام ، مشغولاً بالتأليف أو المطالعة ، فكل ما بقي له من الوقت واتسع بعد الأمور الإدارية لدار العلوم ندوة العلماء ، وعيادته الطبية ، صرفه إلى تأليف "نزهة الخواطر" ، كان له سرير في الغرفة وبجانبه كرسي مريح كان يجلس عليه مشتغلاً بالتحرير والتسويد والجمع والترتيب" (٢) .

ترك ولدين وابنتين فأكبرهم سناً : العالم الجليل الدكتور الفاضل السيد عبد العلي بن عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني اللكنوي ، أحد الأفاضل الأعيان المشهورين في الصناعة الطبية والمعروفين بالفضل و الصلاح و الجمع بين التعليم الديني و العصري ، ومن المطلعين على شئون العالم الإسلامي ، و أحد المولعين بشيخ الإسلام ابن تيمية ، وخريجه الإمام ابن القيم ، ترجم له والده في : "نزهة الخواطر" ما نصه :

"ولد لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف بهنسوه في بيت جده لأمه السيد عبد العزيز بن سراج الدين الحسيني الواسطي ، وقرأ في علم الآلات على شيخه السيد علي الزينبي ، والمولوي شبلي الجيراجفوري ، و أخذ الهيئة عن المولوي سلطان محمد

---

(١) يراجع ترجمة المؤلف في مقدمة "تهذيب الأخلاق" بقلم نجله الشيخ أبي الحسن علي الندوي و "حياة عبد الحي" له .

(٢) في مسيرة الحياة : ص/٥٦-٦١ ملخصاً .

الكابلي ،والهندسة عن العلامة شير علي الحيدرآبادي ، وقرأ عليّ بعض الكتب الدرسية ، ولازمني مدة ، وأخذ عني الصناعة الطبية ، وقرأ على شيخنا العلامة حسين بن محسن الأنصاري اليماني حين وفد عليّ من بوفال "كتاب الأوليات" للشيخ محمد سعيد سنبل ، وأجازه شيخنا المذكور ، ثم سافر إلى ديوبند سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف ، وقرأ الصحاح والسنن على السيد أنور شاه الكشميري ، وعلى العلامة محمود حسن الديوبندي المحدث ، ولازمهما سنة كاملة ، ثم رجع إلى مدينة لكناؤ ، فزوّجته بابنة خاله السيد أبي القاسم بن عبد العزيز الحسني الواسطي ، ودخل في كلية لكناؤ ، وجدّ في البحث والاشتغال حتى نال الفضيلة بتفوق في علم الكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات وغيرها ، وحصلت له وسامتان عاليتان إحداهما من الذهب المسكوك مع الكتب النفيسة في جامعة إله آباد على يد الحاكم العام للولايات المتحدة الشمالية" (١) .

"وسافر إلى دلهي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف ومكث عند طبيب الهند المشهور وزعيمها حاذق الملك الحكيم أجمل خان ، ومكث عنده ستة أشهر يرافقه ويستفيد منه ، ثم التحق بكلية الطب الحكومية في لكناؤ سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف ، وأكمل دراسته في كلية الطب وأخذ الشهادة من جامعة لكناؤ سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف ، ثم بدأ حياته المستقلة كطبيب ، وانتخب عضواً في لجنة ندوة العلماء التنفيذية سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف ، وانتخب نائب المدير سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف ، ومديراً سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف ، وحج وزار سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف ، وظل مشتغلاً ثلاثين سنة بإدارة "ندوة العلماء" وخدمة الناس عن طريق المداواة والبر والمواساة مهتماً بأمور المسلمين ، مساهماً في تأييد القضايا الإسلامية و المشاريع

---

(١) الإعلام : ٢٧٩/٨ .

الإصلاحية بقدر الإمكان ، ولم يزل على ذلك حتى وافاه الأجل المحتوم لتسع ليال بقين من ذي القعدة سنة ثمانين وثلاثمائة وألف" (١) .

وثانيهم : هي السيدة الفاضلة الصالحة المصلحة المربية الكريمة أمة العزيز [١٣٢٤-١٤١٦هـ] (٢) .

وثالثتهم السيدة الكاتبة الأديبة الشاعرة الفاضلة أمة الله ، المتلقبة في الشعر بـ "تسنيم" ، المعروفة في الأسرة بـ السيدة "عائشة بي" [١٣٢٥-١٣٩٦هـ] ، لها "قصص الأنبياء" للأطفال في أردو ، كتاب صغير في السيرة النبوية ، وقد نالت ترجمتها لكتاب "رياض الصالحين" للإمام النووي باسم : "زادِسفر" قبولاً و رواجاً .

أما رابعهم وهو أصغرهم سناً وأكبرهم علماً وفضلاً فهو شيخنا الإمام الحجة القدوة الرحلة ، أنموذج السلف ، مفخرة الهند ، عمدة العرب والعجم في هذا الزمان ، المطبق صيته الآفاق سماحة العلامة الشريف أبو الحسن علي الحسني الندوي ، أحد العلما المشهورين في الهند، المبرّزين في الأدب والتأريخ والسير والتراجم والخطابة ، وهو رئيس "تدوة العلماء" وترجمان فكرتها وحامل لوائها ، ورائد الحركة الأدبية الإسلامية العالمية ، وأحد فحول الدعاة إلى الله ، ومن أقطاب الفكر الإسلامي .

ولد لست خلون من محرم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف ببلدة رائ بريلي ونشأ بها ، وتعلم الخط وقرأ مبادئ الأردية والفارسية ، وكان يتردد بين رائ بريلي ولكناؤ ، كان غالب إقامته في لكناؤ حيث كان والده

---

(١) الإعلام : ٨/٢٨٠-٢٨٣ ملخصاً من زيادات العلامة الشيخ الندوي ، ما بين العكفين .

(٢) يراجع لترجمتها مقالاً وافياً بقلم ابنها الأصغر الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي في "الرائد" السنة/٣٧ ، العدد/١٧ ، ١٠/شوال المكرم ١٤١٦هـ .

يشتغل بالمداواة وإدارة "تدوة العلماء" ، ولما توفي والده سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف ، رجع مع أمه إلى رائ بريلي ، وتربى في حجرها ، وقرأ الفارسية ، وبرع فيها ، ثم قدم لكناؤ ونزل عند أخيه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، وتعلم وترعرع تحت كفالته ونظارته ، وقرأ الإنجليزية ، وتوسع في الدراسات الفارسية حتى تمكن من مطالعة كتب الطبقات والسير والتراجم والحقائق والمعارف والرسائل وما إليها في الفارسية .

بدأ يدرس اللغة العربية في أواخر ١٩٢٤م على الأديب الفاضل الشيخ خليل بن محمد بن حسين بن محسن الأنصاري البوفالي [ت ١٣٨٦هـ]، ولازمه مدة ، وكان شيخه في بداية الأمر يكتب له الدروس الابتدائية في علم التصريف على كراسة وهو يحفظها ، ثم قرأ عليه الأجزاء الأربعة "للطريقة المبتكرة" ، والأجزاء الثلاثة لـ "مدارج القراءة" ، و "كليلة ودمنة" لابن المقفع ، و "مجموعة من النظم والنصر للحفظ والتسميع" وكتاب "الضريري في النحو" لأبي الحسن علي الضرير ، و "نهج البلاغة" المنسوب إلى الشريف الرضي ، و "المقامات" للحريري ، و "دلائل الإعجاز" للجرجاني ، و "القصائد العشر" ، وقرأ عدة سور من الجزء الأخير للقرآن الكريم على الأستاذ خواجه عبد الحي الفاروقي أستاذ التفسير بالجامعة الملية بدلهي حين مقدمه إلى لكناؤ ، وأخذ قواعد اللغة العربية عن عمه الفاضل السيد طلحة بن محمد بن نور الهدى بن محمد علي بن عبد السبحان الشريف الحسني الرائ بريلوي ، ثم الطوكي [ت ١٣٩٠هـ] ، أحد العلماء المبرّزين في الحديث والرجال والعربية ، واستفاد منه كثيراً ، ثم التحق بجامعة لكناؤ الحكومية في قسم الفضيلة في الأدب العربي سنة ١٩٢٧م ، واشترك في الاختبار السنوي في أبريل ١٩٢٨م ، بيد أنه رسب فيه ، ثم أدرك اختبار الدور الثاني في ١٩٢٩م ، ونجح بتقدير ممتاز ، و حصلت له المنحة و الميدالية الذهبية ، ثم

التحق بالفضيلة في الحديث ودرس سنة كاملة ، واشترك في الامتحان ونجح فيه ، ثم رحل إلى لاهور في يونيو من نفس العام على طلب من عمته السيدة شمس النساء بنت السيد فخر الدين حيث كان زوجها السيد طلحة الآنف الذكر أستاذاً محاضراً للغة العربية في الكلية الشرقية ، فتسنى له في هذه الرحلة أن يزور أعلاماً كباراً وشعراء ، على رأسهم الدكتور محمد إقبال الشاعر، والشيخ أحمد علي اللاهوري المفسر [ت ١٣٨١هـ] وحفيظ جالندهري صاحب الملحمة الإسلامية الشهيرة ، وغيرهم من رجال العلم والفضل .

وحضر في يوليو دروس الحديث بندوة العلماء بلكناؤ التي كان يلقيها الفقيه المحدث الشيخ حيدر حسن بن أحمد حسن بن غلام حسين خان الياغستاني الأفغاني الطوكي [ت ١٣٦٦هـ] (تلميذ العلامة المحدث حسين بن محسن الأنصاري اليماني والشيخ نذير حسين البهاري الدهلوي المحدث) ولازمه سنتين كاملتين وقرأ عليه "صحيح البخاري" و "صحيح الإمام مسلم" و "سنن أبي داود" و "الترمذي" حرفاً حرفاً ، وقرأ شيئاً من تفسير "البيضاوي" ، وأخذ عنه عدة دروس في المنطق ، ثم صحب العلامة اللغوي المحقق الدكتور محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي المراكشي [١٣١١-١٤٠٧هـ] إبان إقامته بندوة العلماء مدرساً للغة العربية وآدابها في ١٩٣٠-١٩٣٣م ، وانتفع بمجالسه العلمية واستفاد منه كثيراً ، وقرأ عليه "ديوان النابغة الذبياني" مع تقييد فوائده ونكته ، ثم سافر إلى لاهور مرة ثانية في ١٩٣٠م للاستفادة من شيخه اللاهوري السالف الذكر ، وقرأ عليه بداية سورة البقر ، وأعجب بدروسه في التفسير حتى توخاه مرة ثالثة في ١٩٣١م ، وهذه المرة حضر في دروس "حجة الله البالغة" للشيخ ولي الله الدهلوي ، ثم قصده آخر مرة في ١٩٣٢م ، وأصبح طالباً منتظماً في مدرسة "قاسم العلوم" المختصة لخريجي المدارس الدينية ، كانت الدراسة فيها تبدأ من أواخر شعبان

وتنتهي في أواسط ذي القعدة ، وكان الاختبار في أوائل مارس ، واشترك فيه "الشيخ الندوي" ونجح بتقدير عال ، وحصل الشهادة على يد الشيخ المحدث حسين أحمد بن حبيب الله الفيض آبادي المشهور بالمدني [ت ١٣٧٧هـ] .

ورحل إلى ديوبند في نفس العام وحضر دروس شيخه المدني هذا في "صحيح البخاري" و "سنن الترمذي" بصورة منتظمة ، وأسند عن الشيخ حيدر حسن خان الطوكي ، وأجازه المحدث عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري الشارح الترمذي [ت ١٣٥٣هـ] .

وتم تعيينه مدرسا في دار العلوم التابعة لندوة العلماء في يوليو ١٩٣٤م ، و باشر العمل بانتظام كمدرس للأدب و التفسير في أول أغسطس ، وتزوج في نوفمبر بابنة خاله السيد أحمد سعيد ، وهي حفيدة الشيخ العارف السيد ضياء النبي الحسني ، لم تلد له ولداً ، وماتت عنه في عام ١٩٨٩م .

ثم توفر على التدريس والتأليف ، و وضع المقررات الدراسية لتعليم اللغة العربية ، فألف "قصص النبيين" للأطفال في أربعة أجزاء ، و "القراءة الراشدة" في ثلاثة أجزاء ، و "مختارات من أدب العرب" في قسمين لدراسة النصوص الأدبية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، مع تعريف موجز بأصحابها ، وذكر مميزاتهم الأدبية .

وما زال مشتغلاً بالتدريس والتصنيف حتى ألف كتابه المطبق صيته الآفاق : "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ، عكف على تأليفه من ١٩٤٣م إلى ١٩٤٧م ، طبع بمصر في ١٩٥١م ، وحج في ١٩٤٧م مع أمه وأخته السيدة الفاضلة أمة الله تسنيم السالفتي الذكر وابن أخته الشيخ محمد الثاني الحسني وغيرهم ، مكث بالحجاز ستة أشهر مشغولاً بالأعمال الدعوية وزيارة العلماء والمشايخ الكبار ، ثم حج في ١٩٥٠م مع وفد مرافق له ، وألقى بالحجاز عدة محاضرات ، ورحل إلى مصر والشرق

العربي في ١٩٥١م ، ولقي هناك قادة الفكر الإسلامي ، وأعلاماً كباراً من العلماء والأدباء والمؤلفين ، وألقى في هذه الرحلة محاضرات قوية متدفقة بالحياة والحماس والإيمان والإخلاص ، ثم رحل إلى دمشق في أبريل ١٩٥٦م على دعوة من كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وألقى بها ثماني محاضرات علمية في "التجديد و المجددون في تأريخ الفكر الإسلامي" .

وأسس المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ في ١٩٥٩م ، وسافر إلى بورما في ديسمبر ١٩٦٠م ، ومكث بها أكثر من شهر ، وألقى عشرات من الخطب ، واختير رئيساً لندوة العلماء في ١٨/يونيو ١٩٦١م بعد ما توفي أخوه الدكتور السيد عبد العلي الحسني في ٧/مايو من نفس العام ، وكان رئيس "ندوة العلماء" كما سبق في ترجمته ، وسافر إلى دولة الكويت في ٢٤/يناير ١٩٦٢م للتعريف بندوة العلماء ، وجمع المساعدة لها ، ورافقه في هذا السفر نائبه الشيخ محمد معين الندوي ، والأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي .. وكان السفر ناجحاً ، ثم تلقى عضوية المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة في أواخر مارس ، وحضر جلستها الأولى في شهر مايو ، وفي نفس العام تشرف بالعضوية في مجلس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، ثم قدم المدينة في ١١/مارس ١٩٦٣م على دعوة من نائب رئيس الجامعة لإلقاء المحاضرات ، فألقى ثماني محاضرات في "النبوة والأنبياء في ضوء القرآن" ، ورحل إلى أوربا أول مرة في ١٩/سبتمبر لهذا العام ، واستغرقت هذه الرحلة إلى نوفمبر ، وكان الدكتور اشتياق حسين القريشي مرافقاً له ، وزار في هذه الرحلة أكثر مدن أوربا وأسبانيا ، وقابل عدداً من فضلاء الغرب والمستشرقين ، وألقى أحاديث ومحاضرات ، ثم تتابعت الرحلات إلى أوربا وأمريكا والبلاد العربية والمغرب الأقصى والخليج العربي وما إليها من البلدان حتى عقد مهرجاناً تعليمياً لدار العلوم

ندوة العلماء بمناسبة خمس وثمانين عاماً على تأسيسها ، وذلك في ٣١/أكتوبر - ٣/نوفمبر ١٩٧٥م ، وأعلن ترشيح اسمه لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في ١٩٨٠م ، ثم عقد ندوة عالمية للأدب الإسلامي بدار العلوم ندوة العماء في ١٧-١٩/أبريل ١٩٨١م ، وحضر ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر في ١٩٨٢م .

هذه نبذ وقبسات من ترجمة الحياة للعلامة الشيخ ملخصة من سيرته الذاتية المسماة بـ "في مسيرة الحياة" طبع دار القلم بدمشق ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

أما مؤلفاته ورسائله ومحاضراته ومذكراته بالعربية والأردية فهي كثيرة ممتعة ، أحسنها : "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ، ومن أهمها : "سيرة السيد أحمد الشهيد" بالأردية في مجلدين كبيرين ، "رجال الفكر والدعوة" ، "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية" ، "الأركان الأربعة" ، "السيرة النبوية" ، "روائع إقبال" ، "القادياني والقاديانية" ، مذكرات سائح في الشرق الأوسط" ، النبوة والأنبياء" ، "إلى الإسلام من جديد" ، "العرب والإسلام" ، "في مسيرة الحياة" ، "العقيدة والسلوك" .

هذا وإني قرأت عليه شيئاً نزراً من تأليفه "الأركان الأربعة" ، وطرفاً من كتاب "السيرة" -لابن هشام بـ "راى بريلي" في رمضان المبارك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف .

وصلى الله سبحانه وتعالى على خير خلقه ونور عرشه
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

☆☆☆☆☆

أبو الأسود الدؤلي

و دوره في وضع قواعد النحو

[١] بقلم : الشيخ أحمد علي
المحدث بالمدرسة الحكيمية العالية ، شوناتي ، لوهاغارا
شيتاغونغ ، بنغلاديش

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان (١) بن جندل (٢) بن يعمر بن حلس (٣) بن نباتة (٤) بن عدي بن الدئل (٥) الدؤلي (٦) الكناني (٧) البصري(٨) ، هذا قول الأكثر في اسمه ، و قال دعبل وعمر بن شبة : هو عمرو ابن ظالم بن سفيان ، وقال الواقدي : عويمر بن ظويلم ، وقيل : عمرو بن عمران، وقيل : عثمان بن عمرو (٩) ، وقيل : عمرو بن عثمان (١٠) ، إنما هذا الاختلاف في اسمه لأجل أنه كان مشهوراً بكنيته "أبي الأسود" أكثر من اسمه ، وكانت أمه من بني عبد الدار بن قصى من قريش (١١) .

ولد أبو الأسود قبل النبوة ببضع سنين ، وقيل : قبيل الهجرة (١٢) في بني الديل - ونشأ وشب بينهم - كان له جار من بني حلس بن يعمر ، من رهطه دنيةً ، يحسده وتبلغه عنه قوارص ، روى عن أبي بكر الهذلي أنه قال : إن جاره أولع برميه بالحجارة كلما أمسى فيؤذيه فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم فكلموه ولاموه فكان ما اعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه وإنما يرميه الله لقطعه الرحم وسرعته إلى الظلم في بخله لماله ، فقال أبو الأسود : والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي فباع داره واشترى داراً في هذيل (١٣) ، ثم انتقل إليها وكان يقيم فيها إلى أن هاجر إلى البصرة .

كان أبو الأسود من سادات التابعين وأعيانهم وليس له صحبة فإنه أسلم في حياة النبي * ، ولكنه لم يره (١٤) روى عن أبي عبيدة : "أنه أدرك أول الإسلام و شهد بدراً مع المسلمين" (١٥) يدل هذا الخبر على أنه صحابي رأى

النبي * في حال إسلامه ، لكنه لم يثبت لأنه لم يرو ذلك غيره ، لعله وهم ، وأغلب الظن أنه كان مع المشركين فإن أصحاب السير ذكروا أن أباه قتل كافراً في بعض المشاهد التي قاتل فيها رسول الله المشركين (١٦) ، وذكره ابن شاهين أيضاً في الصحابة ، وروى بإسناده عن القاسم بن يزيد ، عن سفيان عن بكير بن عطاء الليثي ، عن أبي الأسود الديلي ، قال : أتيت رسول الله * وهو واقف بعرفة ، فاتاه نفر من أهل نجد ، فقالوا : يا رسول الله ! كيف الحج ؟ فأمر رجلاً فنادى : "الحج يوم عرفة ، من جاء قبل صلاة الصبح ليلة جمع فقد تمّ حجّه" ، هكذا أورده - وهو خطأ - رواه شعبة عن بكير عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي ، ورواه غير واحد عن سفيان كذلك وهو الصواب ، ولا مدخل لأبي الأسود فيه ، وروى عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن عبد الله بن عثمان بن خيثم أن محمد بن خلف ، أخبره : "أن أبا الأسود أتى النبي * وهو يبايع الناس يوم الفتح" وهذا أيضاً خطأ ، رواه أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن خيثم عن محمد بن الأسود بن خلف : "إن أباه الأسود حضر النبي * وهو يبايع" فسقط على الراوي "الهاء" في الكتابة من "أباه" فجعله أبا الأسود (١٧) .

كان أبو الأسود من أجلة العلماء في عصره ، كان قد جمع بين علم القراءة والحديث والفقه والنحو كما كان جمع بين شدة العقل وصواب الرأى وجودة اللسان ، وقول الشعر والظرف .

أخذ أبو الأسود القراءة عن عثمان وعلي رضي الله عنهما وعنه أخذه ولده أبو حرب ونصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني وعبد الرحمن بن هرمز وعنبسة الفيل وميمون الأقرن ، وقيل : حمران بن أعين ، لكن الصحيح فيه إنما أخذه عن أبي حرب بن أبي الأسود (١٨) .

وأخذ الحديث عن عمر وعلي ومعاذ وأبي ذر وابن مسعود والزبير بن العوام وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وعمران بن حصين وعبد الله بن عباس وغيرهم ، وروى عنه ابنه أبو حرب ويحيى بن يعمر وعبد الله بن أبي بريدة وعمر بن عبد الله مولى عفيرة ، و سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش وقتادة

وغيرهم (١٩) ، كان مسنداً في الحديث من أهل طبقته ، ثقة صدوقاً عدولاً ، روى عنه جميع أصحاب الصحاح الستة ، و ثقه ابن معين وأحمد العجلي وابن سعد وابن حبان وغيرهم (٢٠) .

قدم أبو الأسود إلى البصرة في خلافة عمر وسكنها وتولّى المكانة العلياء بها في الحديث والفقه وكان عيّنه عبد اللّه بن عباس كاتباً حين استعمله عليها علي ﷺ (٢١) وكان يكرمه ويقضي حوائجه فلما ذهب ابن عباس إلى الحجاز ، استخلفه عليها فاقرّه علي (٢٢) ، روى عن المدائني أنه قال : لما خرج ابن عباس إلى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود في قومه ليرده فاعتصم عبد اللّه بأخواله من بني هلال فمنعوه وكادت تكون بينهم حرب فقال لهم بنو هلال : ننشدكم اللّه ألا تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة إلى آخر الأبد ، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه فلا تدخلوا أنفسكم بينهما فرجعت كنانة عنه ، وكتب أبو الأسود إلى علي فأخبره بما جرى فولاه إمارة البصرة (٢٣) ولم يزل في إمارتها إلى أن قتل علي ﷺ .

كان أبو الأسود من أشياع علي وأكثر الناس تعلقاً به وبأهل بيته ، قاتل معه يوم الجمل وشهد معه صفين ، ثم تولى له حرب الخوارج (٢٤) وتفجع له إذ أتاه نعيه وجزع جزعاً عظيماً ، روى عن أبي بكر الهذلي ، قال : أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين علي و بيعة الحسن ، فقام على المنبر فخطب الناس ونعي لهم علياً فقال في خطبته :

"وإن رجلاً من أعداء اللّه المارقة عن دينه ، اغتال أمير المؤمنين علياً كرّم اللّه وجهه ومثواه ، في مسجده وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت إلى اللّه تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان ! لقد أطفأ منه نور اللّه في أرضه لا يبين بعده أبداً وهدم ركناً من أركان اللّه لا يشاد مثله ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون ، وعند اللّه نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ﷺ ورحمة اللّه يوم ولد ، ويوم قتل ويوم يبعث حيّا" .

"ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول اللّه ﷺ وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه وإني لأرجو أن يجبر اللّه تعالى به ما وهى ويسد به ما انثلم ويجمع به الشمل ويطفئ به نيران الفتنة فبايعوه ترشدوا" .

فبايعت الشيعة كلها وتوقف ناس ممن كانوا يرون رأى العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودس إليه رسولاً يعلمه أن الحسن ﷺ قد راسله في الصلح ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعده ويمنيه ، فقال أبو الأسود :

ألا أبلغ معاوية بن حرب ☆ فلا قرت عيون الشامتينا
أ في شهر الصيام فجمعتمونا ☆ بخير الناس طرّاً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ☆ و خيسها و من ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ☆ و من قرأ المثاني و المئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ☆ رأيت الدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت ☆ بأنك خيرها حسباً و ديناً (٢٥)

ثم لمّا تم الأمر لمعاوية صالحه و وفد عليه فبالغ في إكرامه وأعظم جائزته ولكن لم يكن مطمئناً إلى الحكم الأموي ، فعاش على تقية لم يمدح الأمويين ولم يعرض بهم (٢٦) فصنع الأمويون به مثل ما صنع بهم ، فكانوا لا يعتمدون أذاه ولكنهم كانوا يضايقونه (٢٧) روى أن عبد اللّه بن عامر عامل البصرة من قبل معاوية جفاه وأبعده ومنعه حوائجه ، وكذلك زياد لما تولى العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي فكان أبو الأسود يترضاه ويداريه ما استطاع ، ويقول في ذلك :

رأيت زياداً صدّ عني وجهه ☆ ولم يك مردوداً من الخير سائله
ينفذ حاجات الرجال و حاجتي ☆ كداء الجوى في جونه لا يزايله
فلا أنا ناس ما نسيت فآيسٌ ☆ و لا أنا راء ما رأيت ففاعله
و في اليأس حزم للّبيب و راحة ☆ من الأمر لا ينسى ولا المرء نائله (٢٨)

كان له شعر حسن وجواب حاضر وحكم وأمثال ، أما شعره خاصة فضعيف في الأكثر إذ ليس على مستوى رفيع من الوجهة الفنية كما أنه لا يقدم غنماً تاريخياً جديراً بالذكر في أحوال عصره (٢٩) فإن أكثر شعره في مناسبات تتعلق بحاجاته اليومية ، و له شئ من الرثاء و الغزل و الهجاء و المدح و الحكمة و في الشيب خاصة .

المختار من شعره وكلامه :

كانت لأبي الأسود امرأة من بني قشير وامرأة من عبد القيس فأسن وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء ، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسنهما وكانت موافقة له صابرة عليه وهي أم عوف القشيرية التي يقول فيها :

أبى القلب إلا أم عوف وحبها ☆ عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفنّد
كسحق يمان قد تقادم عهده ☆ و رقعته ما شئت في العين واليد

وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دعمى ، وكانت أشبهما وأجملهما فالتوت عليه لما أسنّ ، وتنكرت له وساءت عشرتها ، فقال فيها أبو الأسود :

أ فاطم مهلا بعض هذا التعبس ☆ وإن كان منك الجد فالصّرم مؤنسي
تشتّم لي لما رأتني أحبها ☆ كذى نعمة لم يبدها غير أبؤس
فإن تنقضي العهد الذي كان بيننا ☆ و تلوى به في ودّك المتحلس
فإني – فلا يغررك مني تجملي ☆ لأسلى البعاد بالبعاد المكنس (٣٠)

كان لأبي الأسود ابن عم دنية وكان شرسا سيئ الخلق ، فأراد سد ذلك الباب فقال قومه : لا تفعل فتضر بأبي الأسود وهو شيخ وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة – فأبى إلا سدّه – ثم ندم على ذلك لأنه أضر به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه ، وقال فيه :

بليت بصاحب إن أذن شبراً ☆ يزدني في مباعدة ذراعاً
وإن أمدد له في الوصل ذرعي ☆ يزدني فوق قبس الذرع باعاً

أبت نفسي لـه إلا اتباعا ☆ و تأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو و ينأى ☆ فذلك ما استطعت وما استطاعا (٣١)

وقال في هجائه أيضاً :

لنا جيرة سدوا المجازة بيننا ☆ فإن أذكروك السد فالسد أكيس
ومن خير ما الصقت بالجار حائط ☆ تزلّ به سُفْع الخطاطيف أملس (٣٢)

دخل أبو الأسود يوماً على عبيد الله بن أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة، فرأى عليه جبة رثّة كان يكثر لبسها ، فقال : يا أبا الأسود ! أما تمل هذه الجبة ؟ فقال : رب مملول لا يستطاع فراقه ، فلما خرج من عنده بعث إليه مائة ثوب ، فكان أبو الأسود يمدحه ، ويقول فيه :

كساني ولم استكسه فحمدته ☆ أخ لك يعطيك الجزيل و ناصر
وإن أحق الناس إن كنت شاكراً ☆ بشكرك من أعطاك والعرض وافر (٣٣)

ذكر السيوطي وغيره : إن تلك القضية جرت لأبي الأسود مع المنذر بن الجارود العبدي (٣٤) .

و وعده معاوية ﷺ وعداً بطأ عليه فقال :

لا يكن برقك برقاً خلباً ☆ إن خير البرق ما الغيث معه
لا تهني بعد إكرامك لي ☆ فشديد عادة منتزعة (٣٥)

من محاسن حكمه في شعره :

قال يوصى ابنه :

لا ترسلن رسالة مشهورة ☆ لا تستطيع إذا مضت إدراكها
أكرم صديق أبيك حيث لقيته ☆ وأحبُ الكرامة من بدا فحباكها
لا تبدينّ نميمة حُدّثتها ☆ و تحفّظنّ من الذي أنباكها (٣٦)

وقال أيضاً يخاطب ولده :

و ما طلب المعيشة بالتمنى ☆ و لكن ألق دلوك في الدلاء
تجئ بملئها طوراً و طوراً ☆ تجئ بحمأة و قليل ماء (٣٧)

وقـــال :

مـــا كل ذي لب بمؤتيك نصحه ☆ و مـــا كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد ☆ فحق له من طاعـــــة بنصيب (٣٨)

من عجائب أجوبته ولطائف أقواله :

روى أنه ذكرت العمامة عند أبي الأسـود الدؤلي فقال : "جُنّة في الحرب ومسكنة من الحر ومدفأة من القرّ و وقار في الندى و واقية من الأحداث وزيادة في القامة ، وهي بعدُ عادة من عادات العرب" (٣٩) ، وروى أن رجلاً سأل أبا الأسود الدؤلي فردّه فالحّ عليه ، فقال له أبو الأسود : "ليس السائل الملحف خيراً من المانع الحابس" فصار مثلاً (٤٠) ، وروى أنه قيل : "أبو الأسود أظرف الناس لو لا بخل فيه" فقال : "لا خير في ظرف لا يمسك ما فيه" (٤١) ، وروى عن الرياشي أنه قال : دخل أبو الأسود الدؤلي على عبيد اللّه بن زياد وقد أسن ، فقال له عبيد اللّه يهزأ به : "يا أبا الأسود ! إنك لجميل فلو تعلقت تميمة تـرد عنك بعض العيون ، فقال أبو الأسود :

أفنى الشباب الذي أفنيت جدته ☆ كرّ الجديدين من آت و منطلـــق

لم يتركا لي في طول اختلافهمـا ☆ شيئاً أخاف عليه لذعة الحـــدق (٤٢)

وكان لأبي الأسود في بني الديل دار وكان له جار يتأذى منه في كـل وقت ، كما سبق ذكره فيما قبل ، فباع الدار فقيل لـه : أبعت دارك ! فقال : لم أبع داري ولكن بعت جاري ، فأرسلها مثلاً (٤٣) ، وعن عيسى بن عمر قال : سئل أبو الأسود عن رجل ، و استشير في أن يولى ولاية ، فقال أبـو الأسود : هو ما علمته : "أهيس أليس ، الدُّ مِلْحس ، إن أعطى انتهر وإن سئل آزر" (٤٤) .

و يبدو أن أبا الأسود كان في شعره من نصراء آل البيت أيضاً ، لكـن لم يكن يجسر على هجـو معاوية كمـا فعل أكثر أمثاله ، و لم يـرو لـه طعن في بني أمية (٤٥) ، روى أنه كان ينزل البصرة في بني قشير ، و كانت بنو قشير عثمانية ، و كانت امرأته أم عوف منهم فكانوا يؤذونـه ويسبونه وينالون من علي ﷺ بحضرته ليغيظوه به ويرمونه بالليل لمحبته علياً ﷺ ، وأهل بيتـه فإذا

أصبح قال لهم : يا بني قشير ، أي جوار هذا ! فيقولون لـه ، لم نرمك ، إنما رماك اللّه لسوء مذهبك وقبح دينك ، فقال في ذلك :

أحب محمـــــداً حباً شديداً ☆ و عباساً و حمـــزة و الوصيا

أحبهـــم لحب اللّه حتـــى ☆ أجئ إذا بُعِثْتُ على هـــويا

هوىً أعطيته منـــذ استدارت ☆ رحى الإسلام لم يعـدل سويا

يقول الارذلون بنـــو قشير ☆ طوال الدهر مـــا تنسى علياً

بنو عم النبي ﷺ وأقـــربـــوه ☆ أحب النـــاس كلهم إليـــا

فإن يك حبهم رشداً أصبـــه ☆ و ليس بمخطـئ إن كان غيّاً (٤٦)

فقالت له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول : فإن يك حبهم رشداً أصبه ، فقال : أما سمعتم قول اللّـه تعـالى : ﴿ وإنّا و إيـاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين ﴾ افترى اللّه تعالى في نبيه ! وقد روى أن معاوية ، قـال هذه المقالة فأجابه بهذا الجواب (٤٧) .

وقد جمع شعره في ديوان صغير يوجد مخطوطاً في ليـبزج أوّل/٥٠٥ (Noldeke, 2DMG,18,220-42) ، دامـاد زاده ١٧٦٩ ، ١٧٨٩/٢ (M,FO,5531) (٤٨) ، وطبـــع في بغداد سنة ١٩٥٤م وعلق عليه عبد الكريم الدجيلي ، ثم طبعتـه دار المعارف في الكاظمية ما بين ١٩٥٣م و ١٩٥٥م تحت تحرير محمد حسين آل ياسين (٤٩) ، وله قصيدة في برلين ٧٥١٩/٣ ، وشرح ميمية له محمـود الشريف في التعليقات الشريفية على جملـة من القصائد الحكميـة ، نشر بالقاهرة/١٣١٠ ، انظر : (O.Rescher,WZKM 27 (1913) 375FF., MSOS-XXI,32) ، ونشرت ترجمة لقصائده سنة ١٩١٤م في "Griefswald" (٥٠) .

كان أبو الأسود طاهر الأخـلاق ، حسن المجالسة ، كامل المروءة ، وكان موسرا ذا عبيد وإماء فقيل له : قد أغناك اللّه تعالى عن السعي في حاجتك ، فلـو جلست في بيتك ، فقال : لا ولكني أخرج وأدخل ، فيقول الخـادم : قد جاء ، ويقول الصبي : قد جاء ، ولو جلست في البيت فبالت عليّ الشاة ما منعهـا أحد عني (٥١) ، ربما نسب إليه من بخل ، كان يقول : "أ أطعنا المساكين في أموالنـا

لكنا مثلهم" (٥٢) ، ويقول لبنيه : "لا تجاوروا اللّه فإنه أجود وأنجد ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزالاً" (٥٣) ، روى المدائني أنه قال : خرج أبو الأسود الدؤلي ومعه جماعة أصحاب له إلى الصيد فجاءه أعرابي فقال له : السلام عليك ، فقال له أبو الأسود : كلمة مقولة ، قال : أدخل ؟ قال : وراءك أوسع لك ، قال : إن الرمضاء قد أحرقت رجلي ، قال : بل عليها أو إئت الجبل يفئ عليك ، قال : هل عندك شئ تطعمنيه ؟ قال : نأكل ونطعم العيال ، فإن فضل شئ فأنت أحق به من الكلب . فقال الأعرابي : ما رأيت قط ألأم منك ، قال أبو الأسود : بلى ، قد رأيت ولكنك قد أنسيت (٥٤) ، وروى أيضاً أنه عشى ليلة مسكيناً ثم قيده وبيته عنده ومنعه أن يخرج ليلته تلك لئلا يؤذى المسلمين بسؤاله ، فقال له المسكين : أطلقني ، فقال : هيهات ، إنما عشّيتك لأريح منك المسلمين الليلة فلما أصبح أطلقه (٥٥) .

أما أوصافه الجسمية فقد كان أصلع الرأس ويعد من العرجان والمفاليج (٥٦) ولم يكن يعتني بنظافة فمه حتى بخر ، روى أنه سار معاوية ﷺ يوماً بشئ فاصغى إليه ممسكاً بكمّه على أنفه ، فنحى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا واللّه لا تسود حتى تصبر على سرار المشايخ البخر (٥٧) .

توفي أبو الأسود فيما ذكر يحيى بن معين وابن أبي خيثمة والمرزباني وغيرهم بالطاعون الجارف (٥٨) سنة ٦٩هـ/٦٨٨م ، و له خمس و ثمانون سنة (٥٩) ، و هذا هو الصحيح ، و قيل : إنه مات قبل الطاعون بعلة الفالج (٦٠) ، قال المدائني : هذا أشبه لأنه لا ذكر له في فتنة مسعود ، وأمر المختار الثقفي (٦١) ، وقال ابن خلكان : و قيل : إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ﷺ (٩٩-١٠٢هـ/٧١٧-٧٢٠م) (٦٢) ، هذا غريب جداً ، لعله أخطأ من قال ، و روى أنه قيل له عند الموت : أبشر بالمغفرة ، فقال : "وأين الحياء مما كانت له المغفرة" (٦٣) .

[للبحث صلة]

(١) قيل : جده "ظالم" أيضاً (الذهبي ، شمس الدين محمد ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٠م : ج/٤ ، ص/٨٤) .

(٢) ذكر ابن قتيبة في نسبه "جندل بن سفيان" موضع "سفيان بن جندل" خلافاً لسائر المصادر (ابن قتيبة الدينوري ، عبد اللّه بن مسلم ، الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦م : ج/٢ ، ص/٧٢٩) .

(٣) حِلس : بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة ، هكذا ذكره أبو القاسم المغربي في كتاب " الإيناس" وهو مما يحرف كثيراً ، فقد وجد فيه اختلاف ، وهذا هو الأصح (ابن خلكان ، شمس الدين أحمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٨م : ج/٢ ، ص/٢١٩)

(٤) ذكر ابن خلكان وغيره "نفاثة" موضع "نباتة" (ابن خلكان ، المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢١٦) .

(٥) الدولابي ، أبو بشر محمد بن أحمد ، كتاب الكني والأسماء ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م : ص/١٠٧ .

(٦) الدؤلي (بالضم بعدها همزة مفتوحة) : منسوب إلى الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، الدُئل على فُعِل اسم دابة بين ابن عرس والثعلب سمي الرجل بها ، قال سيبويه : ليس في لغة العرب اسم على وزن فُعِل غيره وأنشد :

جاءوا بجيش لو قيس معرسه ☆ ما كان إلا كمعرس من الدئل

قال يونس : الدُؤل (بضم الدال وسكون الواو) : امرأة من كنانة وهم رهط أبي الأسود ، وقال ابن قتيبة : الدُول في بني حنيفة ، و الدِّيل في بني عبد القيس ، والدئل بالهمزة في كنانة منهم أبو الأسود الدئلي ، وقال عيسى بن عمر بالكسر على الأصل ، وكان جماعة يقولونه : "الدِّيلي" (بكسر المهملة وسكون التحتانية) ، وقال محمد بن سلام الجمحي : أبو الأسود الدُئلي (بضم الدال وكسر الهمزة) ، وقال المبرد : بضم الدال وفتح الهمزة من الدُئل بالكسر ، وهي دابة ، امتنعوا من الكسر لئلا يوالوا بين الكسرات ، كما قيل في النَمِر النُمَرِيّ ، يتضح مما سبق من أقوال العلماء أنه يجئ في أبي الأسود : الدُؤلي والدِّيلي والدُؤلي والدُئلي (ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي ، جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب

العلمية بيروت ١٩٨٣م : ص/١٨٥ ، السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم ، كتاب الأنساب ، دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد : ج/٥ ، ص/٤٠٥-٤٠٨) .

(٧) الكناني : منسوب إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وهم إخوة قريش لأن قريشاً مختلف في الموضع الذي افترقت فيه مع أبيها ، فخصت بهذا الاسم دونهم ، وأبعد من قال في ذلك مدى من زعم أن النضر بن كنانة منتهى نسب قريش ، فأما النسابون منهم ، فيقولون : إن من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشياً (الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين ، كتاب الأغاني : ج/١٢ ، ص/٣٤٦) .

(٨) البصري : منسوب إلى البصرة وهي مدينة عظيمة بالعراق ، نسب إليها أبو الأسود لما أنه كان قدم إليها وسكنها وتولى إمارتها في أيام علي ﷺ .

(٩) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية بيروت : ج/٣ ، ص/٣٠٤ .

(١٠) ابن حجر العسقلاني : كتاب تهذيب التهذيب ، نشر دار السنة ، أردو بازار لاهور: ج/١٢ ، ص/١٢ . (١١) الذهبي : المصدر السابق : ج/٤ ، ص/٨٥ .

(١٢) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤م : ج/١ ، ص/٣٤٨ . (١٣) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٦٩ .

(١٤) ابن كثير : أبو الفداء الحافظ : البداية والنهاية ، دار الفكر بيروت (د-ت) : ج/٨، ص/٣١٢ . (١٥) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٤٦ .

(١٦) ابن حجر العسقلاني : الإصابة : ج/٣ ، ص/٣٠٤ .

(١٧) ابن الأثير الجزري ، أبو الحسن عزّ الدين علي بن محمد : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد ابراهيم البنّا وأصحابه (د-ت) : ج/٣ ، ص/١٠٣ .

(١٨) الذهبي : المصدر السابق : ج/٤ ، ص/٨٢ .

(١٩) ابن حجر : الإصابة : ج/٣ ، ص/٣٠٤ .

(٢٠) ابن حجر : كتاب تهذيب التهذيب : ج/١٢ ، ص/١٢-١٣ ، ابن كثير : المصدر السابق : ج/٨ ، ص/٣١٢ . (٢١) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٥١ .

(٢٢) الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت (د-ت) : ج/٣ ، ص/٢٣٦ .

(٢٣) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٥٠ .

(٢٤) عمر فروخ : المصدر السابق : ج/١ ، ص/٣٤٨ .

(٢٥) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٨٠-٣٨١ .

(٢٦) عمر فروخ : المصدر السابق : ج/١ ، ص/٣٤٨ .

(٢٧) زيدان ، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية ، دار مكتبة الحياة بيروت : ج/١ ، ص/٢٤٤ . (٢٨) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٦٢-٣٦٣ .

(٢٩) بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : د/عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣م : ج/١ ، ص/١٧٢ .

(٣٠) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٧٨-٣٧٩ .

(٣١) أيضاً : ج/١٢ ، ص/٣٧١ .

(٣٢) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٥م : ج/٢ ، ص/٣٥٥ .

(٣٣) ابن خلكان : المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢١٧ .

(٣٤-٣٥) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية بيروت : ج/٢ ، ص/٢٣ .

(٣٦) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٨٣ .

(٣٧) السيوطي : المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢٣ .

(٣٨) العسقلاني : الإصابة : ج/٣ ، ص/٣٠٥ .

(٣٩) الجاحظ : المصدر السابق : ج/٣ ، ص/١٠٠ .

(٤٠-٤١) العسقلاني : الإصابة : ج/٣ ، ص/٣٠٥ .

(٤٢) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل ، دار نهضة مصر ، الفجالة القاهرة (د-ت) : ج/٢ ، ص/١٧١ .

(٤٣) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٦٩ .

(٤٤) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٨٤ .

(٤٥) زيدان : المصدر السابق : ج/١ ، ص/٢٤٥ .

(٤٦) المبرد : المصدر السابق : ج/٣ ، ص/٢٠٥ .

(٤٧) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٧٢ .

(٤٨) بروكلمان : المصدر السابق : ج/١ ، ص/١٧٢ .

(٤٩) عمر فروخ : المصدر السابق : ج/١ ، ص/٣٠٥ .

(٥٠) بروكلمان : المصدر السابق : ج/١ ، ص/١٧٢ .

(٥١) ابن خلكان : المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢١٨ .

(٥٢) ابن كثير : المصدر السابق : ج/٨ ، ص/٢٦٢ .

(٥٣) ابن خلكان : المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢١٨ .

(٥٤) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٥٣-٣٥٤ .

(٥٥) ابن كثير : المصدر السابق : ج/٨ ، ص/٢٦٢ .

(٥٦) الجاحظ : المصدر السابق : ج/١ ، ص/٣٢٤ .

(٥٧) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٦١ .

(٥٨) الطاعون الجارف : وقع الطاعون الجارف في أول سنة ٦٩هـ في خلافة عبد اللّه بن الزبير فأتى على أهلها إلا قليلاً منهم عجزوا عن نقل الموتى لكثرتهم ، سمي بالجارف لأن جرف الناس كالسيل وكان ثلاثة أيام فمات في كل يوم نحواً من سبعين ألفاً وأصبح الناس في الرابع ولم يبق إلا اليسير من الناس وصارت الوحوش تدخل البيوت فتصيب منهم ، روى أنه صعد ابن عامر يوم الجمعة المنبر وما في الجامع إلا سبعة رجال ونساء ، فقال : ما فعلت الوجوه ، فقيل : تحت التراب ، أيها الأمير ! (الذهبي : العبر في خبر من غبر ، التحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت : ج/١ ، ص/٥٦) .

(٥٩) الذهبي : سير أعلام النبلاء : ج/٤ ، ص/٨٦ .، وقال عمر فروخ : كان له يوم مات خمس وسبعون سنة (عمر فروخ : المصدر السابق : ج/١ ، ص/٣٤٨) .

(٦٠) العسقلاني : الإصابة : ج/٣ ، ص/٣٠٥ .

(٦١) الأصفهاني : المصدر السابق : ج/١٢ ، ص/٣٨٦ .

(٦٢-٦٣) ابن خلكان : المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢١٨ .

أهمية علم الكيمياء والفيزياء

فضيلة الشيخ محمد شهاب الندوي [٤/الأخيرة]
الأمين العام للأكاديمية الفرقانية ، بنغلور (الهند)

النفط وصناعات الكيمياء :

لا يكمل هذا البحث عن النفط إلا إذا سجلنا نطاقه الخاص وعلاقته بالصناعات الحديثة الكيميائية ، فيجب أن يكون لنا وقفة لاستعراض سيطرته على هذه الصناعات الخاصة ، وهي البترو كيميائيات (Petrochemicals) التي هي بمثابة العمود الفقري لمدنية العالم بأسره ، فإن رواء العُمران ونضارة المدنية إنما تقوم اليوم على أساس النفط وصناعاته بلا ريب ، وقد بلغ إنتاجه في ١٩٩٥م إلى تسعة آلاف مليون برميل لسنة واحدة .

والبترو كيميائيات هي المنتوجات الكيميائية الثمينة التي تُحرز من النفط – وهو الزيت الخام الثخين القائم السائل – والغاز الطبيعي ، فإن النفط والغاز يُستخدمان كثيراً في صناعة المواد المفيدة المتنوعة على نطاق واسع من البلاستك والمنظّفات والأدوية والأسمدة الكيميائية والخيوط الصناعية والمواد المبيدة للحشرات والمطاط الصناعي والعطريات والمواد المتفجرة والمواد المُملسة والشمعيات والصبغيات والوقود السيال والمواد المكحولية وما إلى ذلك .

إن النفط وهو الزيت الخام (Crude Oil) يُصفّى أولاً في المصفاة (Refinery) فيخرج بهذا العمل البترول للمرة الأولى بعد تثخينه إلى حد ما ، ثم يخرج منه الكيروسين (Kerosene) بعد تثخين مزيد وهو مادة سائلة تستخدم لعملية الإضاءة والوقاد في بيوتات الفقراء على الأكثر ، ثم يخرج منه كذلك الزيت المملس والمادة الشحمية (Grease) والفازلين (Vaseline)

والبارافين (Paraffin) وغيرها من المواد واحداً بعد الآخر ، ثم تُنتج من هذه المركبات الصبغ والقشطة (Cream) والشحم والمطاط الصناعي والمواد المبيدة للحشرات والجراثيم وأنواع من المنتوجات الأخرى .

وكذلك يخرج من النفط الإيثين (Ethane) وهو غاز ذو أهمية في الصناعات ، يُستخدم في صنع إيثانول (Ethanol) والبوليتين (Polythene) ، أما الأول نوع من الكحول التي يُضم في المشروبات الكحولية ، والتي تُنتج بها المواد الكيميائية الأخرى ، كما يستخدم للوقاد ، وأما الثاني – أي البوليتين – فهو يستخدم في المواد الحزمية (Packing) إلى حد بعيد ، والإيثين بنفسه يُستخدم لإنضاج الثمار صناعياً ، وكذلك يخرج من النفط البروفينن (Propanone) وهو المادة المُذيبة القوية تستعمل في إنتاج المطاط الصناعي والرايون ، والرايون هو الحرير الذي يُصنع من السيلولوز ، وهكذا دواليك ، فإن الصناعات الكيميائية التي لها صلة بالنفط قد بلغت إلى حد لا يحصى عددها ، وهي تعد من الآلاف .

هذا ، و أما مظهر النفط الظاهر الجلي هو البترول وزيت المحرك (Motor Oil) لتحريك الماكينات والسيارات والطيارات وهو واسع المدى ، ثم للغاز الطبيعي كذلك أهمية كبرى في أعمال الطبخ والصناعات الكيميائية .

هذا نظرة عابرة في مجال النفط والغاز وتأثيرهما في الصناعة والتكنولوجيا ولكن الدول الإسلامية كلها من المستهلكات للإنتاجات البترولية على وجه التقريب ، وليست من منتجاتها ، على رغم ما تملك ثُلُثي ذخائر العالم من النفط وعلى رغم تجاوز عدد المسلمين حد البليون ، أفليس هذا من العجائب ؟ فكيف تسوغ لهم الحياة ؟ وكيف يرضون عن هذه الظاهرة المريرة ؟ أفلم يخلق الله تعالى هذه النعم لنا ؟ فلماذا التخلف في هذه الساحة ؟ وهناك ليست خسارة صناعية فقط بل هي خسارة اقتصادية وخسارة تجارية وخسارة مدنية ، وهي التي تؤدي إلى خسارة سياسية ودبلوماسية .

التقدم إلى الغاية المنشودة :

وجملة القول أننا ناقشنا في هذه العجالة خطورة العلوم التجريبية من الوجهتين العلمية والعملية ، فإن هذه العلوم والقضايا تقوم على أساس التجربات والاستقراء التام ، ليس فيها شائبة من الظن والتخمين (١) وجملة قضاياها من البديهيات واليقينيات ، فكلما عاملتها وجربت فيها وتصرفت معها أنتجت ثمّة نتيجة واحدة ، وتمخضّت عنها ردود الفعل متماثلة على حد سويّ لازماً ودائماً ليس فيه تخلف ولا نقص ، فإن جميع الصناعات والإنتاجات الصناعية تشهد بحقانية هذا المبدأ ، التي تعمل وتجري على منوال الأسباب والعلل ، فإذا وُجد السبب فلابد هناك المسبّب ، ليس فيه استثناء ، إلا الأسباب الخاصة التي تحدث تحت معجزات الأنبياء ، وهذه الأسباب والعلل معتبرة من الوجهة الشرعية وقد أقربها السلف من الأمة الإسلامية ، كما صرح به شيخ الإسلام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى : "وأما جمهور العقلاء من المسلمين وغير المسلمين : أهل السنة من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف فيثبتون "الأسباب" ، ويقولون : كما يعلم اقتران أحدهما بالآخر فيعلم أن في النار قوة تقتضي التسخين ، وفي الماء قوة تقتضي التبريد ، وكذلك في العين قوة تقتضي الإبصار ، وفي اللسان قوة تقتضي الذوق ويثبتون "الطبيعية" التي تسمى الغريزة والنحيزة والخُلق والعادة ونحو ذلك من الأسماء (٢) .

وهذه القوانين الطبيعية والنواميس الإلهية هي جارية وماضية في عالم التكوين منذ البداية : ﴿ إنا كلّ شئ خلقناه بقدر ﴾ [سورة القمر، الآية/٤٩] ، ﴿ وخلق كلّ شئ فقدّره تقديراً ﴾ [سورة الفرقان ، الآية/٢] ، ﴿ ما ترى في

---

(١) إلا في العلوم غير التجريبية التي يدخل فيها الظن والتخمين ، ولكن لم نتعرض لها في هذه العجالة .

(٢) كتاب الرد على المنطقيين – لابن تيمية : ص/٩٤ ، ط/لاهور ١٣٩٨هـ .

خلق الرحمن من تفاوت ﴾ [سورة الملك ، الآية/٣] ، ﴿ لا تبديل لخلق اللّه ﴾ [سورة الروم ، الآية/٣١] .

فلا يجوز التنحّي والتجنب عن هذه العلوم – ذات التأثير والنفوذ من كلتا الناحيتين العلمية والعملية – لأي شعب وأمة تحاول أن تعيش في هذه المعمورة حرة ومستقلة ، والعبرة في هذا الصدد أنه تنتفع الشعوب والأمم العالمية بالسنن الجارية في عالم الطبيعة وتستخرج ما فيه من الخيرات والحاصلات بكل حيلة ، ولكن الأمة الإسلامية – على العكس – لا تزال في شك وحيرة في نفوذها وتأثيرها ، ولم تتخلص بعد من المجادلات والتنازعات ، سواء في ميدان العلم والاستدلال أو ميدان العمل والتجربة ، فكان من الطبيعي ما كان لها ، لأن أيما أمة غضّت بصرها عن سنن اللّه الجارية في الكائنات المادية تنتهي إلى مصيرها المحتوم و تذوق البؤس والشقاء جزما .

ومن الطريف أن العلماء الذين هم حاملو الكتاب الإلهي لقد رسبوا في فهمه صحيحاً إلا القليل ، فقاد ذلك إلى الشك والحيرة والانحلال الفكري في المجتمع الإسلامي ، فأصبح حائراً في مجالات الفكر والفلسفة والاجتماع والتمدن والسياسة ، كأن ليست لهذه القضايا أية صلة بكتاب اللّه المجيد ، فأيّاً كان الدافع لابد إذاً أن نرجع إلى كتاب اللّه الخالد لحل جميع قضايانا الشرعية والفكرية والعلمية والمدنية والاجتماعية ، وبذلك نتقدم إلى الغاية المنشودة وإلى سبيل الفلاح والسعادة .

لإنتاج جلائل الأعمال والإنجازات في هذا المجال لابد هناك خطة التنمية الشاملة وأنواع من التضحيات من جانب أصحاب المؤهلات والسلطات والاختصاصات ، فإذا زحفت الأمة الإسلامية في هذا الميدان كجسد واحد فتح اللّه تعالى أبواب رحمته ومهد لنا السبيل للانطلاق إلى المرامي المقصودة إن شاء اللّه تعالى ، فإن اللّه عزّوجل خلق لنا جميع ما في الأرض من الأكوان و الأشياء و القوى الهائلة ، و أخضعها لنا بمشيئته لنؤدّي

مهمتنا في الحياة المدنية والاجتماعية والسياسية ، فكيف نصرف عنها ؟

﴿ ألم تر أن اللّه سخّر لكم ما في الأرض و الفلك تجري في البحر بأمره ﴾ [سورة الحج ، الآية/٦٥] ، ﴿ وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً * وتستخرجوا منه حلية تلبسونها * وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله * ولعلكم تشكرون ﴾ [سورة النحل ، الآية/١٤] ، ﴿ وسخّر لكم ما في السماوات و ما في الأرض جميعاً منه * إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [سورة الجاثية ، الآية/١٣] ، ﴿ كلا نمد هؤلآء وهؤلآء من عطاء ربك * وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ [سورة الإسراء ، الآية/٢٠] ، ﴿ قل من حرم زينة اللّه التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق * قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة * كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [سورة الأعراف ، الآية/٣٢] .

لقد ساق اللّه هذه الأمثلة والآيات التي تَحفز الناس إلى ميدان التسخير وتحثهم على استخدام الأكوان والموجودات في كل عصر وزمان مهما تقدموا في مجال العلم والتكنولوجيا ، فإنها حافزة أن يتقدموا إلى المزيد ، لتحقيق الآيات البينات التي تكون صالحة في ميدان العلم والاستدلال من وجهة ، ولتتم نعمه تعالى على البشرية من وجهة أخرى ، وفي هذا المجال ليس التفريق بين المسلمين وغيرهم ، فأيما شعب تقدم فيه نال هذه النعم تعويضاً لتحقيق آيات اللّه التي هي الآيات الآفاقية والأنفسية في مصطلح القرآن الكريم ، وهذان هدفان أساسيان من منظور إسلامي .

التضامن الإسلامي هو الحل السليم :

لابد لتسخير الأشياء والكينونات معرفة العلوم التجريبية والعلوم الصناعية وهذا مجال واسع قد تخلف فيه العالم الإسلامي ، فلا يتحقق هذا الهدف إلا بالتضامن الإسلامي ، لأن أيما دولة إسلامية لا تملك المعرفة الفنية كاملاً في هذا المضمار ، فلا مندوحة عن التضامن والتعاضد للأمر المشترك بين جميع الدول الإسلامية والدول المسلمة التي تُنتج النفط فقط دون

المعدنيات الأخرى وهي كثيرة من العرب وغير العرب ، وهي المملكة السعودية والكويت والإمارات العربية وقطر والبحرين وسلطنة عمان وسورية ومصر وليبيا وتونس والجزائر ونيجيريا وبروناي والماليزيا وإندونيسيا وباكستان وغيرها ، فلو اتحدت هذه الدول والأقطار لاستراتيجية مشتركة وبرنامج شامل لانقلبت الأوضاع وتغيرت الظروف بإذن الله تعالى.

فالعالم الإسلامي اليوم في أشد حاجة إلى الاتحاد والائتلاف وإلى عزم أكيد على إزالة الأسباب والعراقيل ، فلابد هناك المبادرة إلى توحيد الصفوف وتنسيق العمل وتنمية العلاقات بين الدول الإسلامية أولاً فإن الظروف لا تلائم للجادين أبداً ، ولا يجدونها مجهزة ، بل ليس لهم إلا أن يتغلبوا على الأحوال ويغيروا الظروف ، فإن الأمم الطموحة الجريئة الباسلة تعدل الأوضاع وتزيل العقبات والحواجز التي تعرقل في سبيلها دائماً ، وعلى كل فلا مندوحة عن التضامن الإسلامي وتنمية روابط الصداقة بين الدول الإسلامية لإنجاز الحركة الإسلامية التي تقودها إلى نهضة الأمة ونهضة جديدة وتمكنها من الخلافة الأرضية نهائياً ، وما ذلك على الله بعزيز .

السوق الإسلامية المشتركة :

ومهما كانت هذه المهمة فإنها ممكنة وفوق ذلك هي واجبة على الأمة الإسلامية شرعياً للتخلص من براثن الأمم الغربية ومكايدها ، التي هي ألدّ أعداء الإسلام والمسلمين ، وبهذه الإجراءات نتأهل لإنشاء سوق مشتركة إسلامية ، و هي تكون أمارة الاتحاد الإسلامي و رمزاً لتقدم المسلمين ، ولذلك أصبحت هذه رؤيا أصحاب الفكر من العقلاء المسلمين منذ أمد ، فلابد من إنشائها في عصر التكتّلات ، يقول الشيخ عبد الله العلي المطوع في لقاء صحفي بهذا الصدد : "التقارب بين العالم الإسلامي يجب أن يكون شاملاً ، تعاوناً إسلامياً ، تعاوناً اقتصادياً ، تعاوناً سياسياً ، فيجب أن يتعاون العالم الإسلامي في كل هذه المجالات مع الإسراع في إقامة السوق المشتركة ، و أن يتوافق ذلك مع العمل السياسي ، و توحيد وجهة النظر

أمام الدول الأخرى ، و أن يكون منطلق تلك الدول المتعاونة منطلقاً إسلامياً بحكم توجهها ومسيرتها ، فإذا اتحدنا وتعاونا فيما بيننا أصبحنا أمة كالجسد الواحد ، فكل هذه الأشكال المطروحة للتعاون سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو ثقافية مطلوبة على أن يكون المنطلق إسلامياً نبتغي فيه وجه الله" (١) .

وبهذه الخطوات الحاسمة نقدر على مواجهة التحديات الراهنة ، كما نقدر على إعادة الثقة بالنفس والشعور بالعلوية وإعادة الثقة إلى نواشئ الأمة الإسلامية بدينهم وعقيدتهم ، وكذلك نتمكن بهذه المواقف من إسلامية العلوم الطبيعية وتطهيرها من النزعات المادية وزيوفها التي تدخلت فيها ، بعد أن تمهرنا في هذه العلوم ، لأن هذه الأمة أمة وسط في المعمورة ، ولذلك تحتاج إلى خطة شاملة لنهضتها ونهضة العالم الإسلامي ، بل لنهضة البشرية وتخلصها من الحضارة الغربية الفاتنة الفتاكة .

الصحوة الإسلامية وتطبيق الشريعة :

وعلى كل ، فإن أسلم الحلول في هذا المضمار هو التضامن الإسلامي ، الذي يحقق لنا آمالنا في مقابلة التهديدات التي تتعرض لها أمتنا ، وهو الحل الوحيد والمفتاح الرئيسي في تحقيق نجاحنا في ميدان الخلافة ، فنحتاج إذا إلى تجربة جديدة بكل عزيمة ومثابرة في إطار القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما نحتاج إلى إحياء الوعي الإسلامي والصحوة الإسلامية لتطبيق الشريعة الإسلامية ، ولا يعود مجد الإسلام إلا بهذا الطريق ، فإنها من أشد حاجاتنا من الماء والهواء ، ولو طبقنا الفكر الإسلامي والقيم الإسلامية لأصبحنا من أسعد الأمم ، وإن الإسلام هو الحل الوحيد لجميع قضايانا الشرعية والفكرية والمدنية والسياسية ، ولذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [سورة آل عمران ، الآية/١٩] ، ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن

(١) مجلة المجتمع ، العدد/١٢٨٧ ، ١٣/شوال ١٤١٨هـ : ص/٣٨ .

يقبل منه * وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [سورة آل عمران ، الآية/٨٥] ، ﴿ و من أحسنُ ديناً ممن أسلم وجهه لله * وهو محسن * واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ [سورة النساء ، الآية/١٢٥] ، ﴿ قل : إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم * ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً ﴾ [سورة الأنعام ، الآية/١٦١] ، ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك * وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [سورة الشورى ، الآية/١٣].

وعصارة القول أنه قد آن الأوان أن يتفكر العقلاء من قادة الفكر الإسلامي أن يعملوا جهدهم لتعديل الأوضاع الراهنة وإنشاء الجو الفكري في الدوائر الإسلامية وعامة المسلمين ، والرجوع إلى الإسلام في جُل قضايانا الجماعية والتمشي مع القرآن الكريم على كل حال ، وهذه هي الصحوة الإسلامية التي عرفها الدكتور مانع الحماد الجهني بكلماته : "اكتشاف قيمة الإسلام والعودة إلى منابعه الأصيلة ، ومحاولة تطبيقيه على كل مناحي الحياة دون إغفال متطلبات العصر ، أو بعبارة أخرى : هو بعث حضاري لتحديد هُوية الأمة الإسلامية وبناء مستقبلها انطلاقاً من خير الماضي وأفضل ما في الحاضر" (١) .

فلابد إلى الإسلام من جديد ، ولا تعود السعادة إلى المسلمين أبداً إلا باعتناق الإسلام والدين الحنيف ، وإن الصحوة الإسلامية اليوم تنادي بشمولية الإسلام في كل منشط الحياة الفكرية والسلوكية ، وهذا هو المعنى لقوله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة * ولا تتبعوا خُطوات الشيطان * إنه لكم عدو مبين ﴾ [سورة البقرة ، الآية/٢٠٨] .

☆☆☆☆

(١) الصحوة الإسلامية : نظرة مستقبلية – د/مانع الحماد الجهني : ص/٩ ، من إصدارات الندوة العالمية للشباب الإسلامي –الرياض .

حقوق المرأة في الإسلام

[٥/الأخيرة]

إعداد : الأستاذ رحمة الله الندوى

حكم تولي المرأة الإمامة الكبرى :

لقد اتفق العلماء على أن الذكورة شرط فيمن يتولى منصب رئيس الدولة ، فلا يجوز أن تتولى المرأة هذا المنصب العظيم ، وذلك لأن المرأة ليست مؤهلة لقيادة الأمة وتحمل تبعات الحروب هجوماً أو دفاعاً وصلحاً وذلك لاختلاف حظها من العاطفة عن حظ الرجل منها ، ولاختلاف الخلقة والتكوين الجسماني ، حيث تختص بوظائف الأمومة ، الأمر الذي قد يعوقها عن القيام بمهام القيادة مدة قد تطول أو تقصر ، وذلك فضلاً عن الآسباب الشرعية الأخرى (١) .

والأصل في هذا قول الرسول ﷺ : "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم إمرأة" (٢) .

قال الحافظ : قال الخطّابي : "في الحديث أن المرأة لا تلى الإمارة و لا القضاء" (٣) .

قال الشوكاني : فيه دليل على أن المرأة ليست من أهل الولايات ، ولا يحل لقوم توليتها ، لأن تجنيب الأمر الموجب لعدم الفلاح واجب (٤) .

وقال الإمام ابن حزم : الولاية الممنوعة منها المرأة هي الولاية العظمى

(١) قوانين الأسرة بين عجز النساء وضعف العلماء : ص/٤٢ .
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم الحديث/٤٤٢٥ .
(٣) المصدر السابق : ١٦٢/٨ .
(٤) نيل الأوطار –للشوكاني : ٢٦٥/٨ .

أي الخلافة أي رئاسة الدولة (١) بل نقل الإجماع على عدم جواز تولي المرأة هذا المنصب فقال : "اتفقوا على أن الإمامة لا تجوز لامرأة" (٢) .

وقد صان الإسلام بهذا الموقف الحكيم كرامة المرأة فلم يسلبها حقوقها، وصان سعادة الأسرة فلم يلزم الزوجة بترك البيت لكي تشتغل بشغل آخر مما يعمل فيه الرجال من سياسة أو تجارة أو غيرها ، ومن هنا نفهم سرّ عدم اشتغال المرأة المسلمة بالسياسة في جميع أدوار التاريخ مع ما نالته من حقوق كانت تمكنها من أن تشتغل بالسياسة و لكنها أدركت واجبها الأول في الحياة ، وهي أن تكون أمّا و ربة بيت (٣) .

وبهذا اتضح لنا سر عدم جواز تولي المرأة هذا المنصب العالي ، فإن الإمام والخليفة حينما يحتاج إلى القوة الجسمية البدنية كذلك لابدّ له من أن يكون متحلياً بحلى العقل والفهم بغاية من الكمال ، ومن المستحيل أن يقدر صنف المرأة السريع الانفعال على جميع أمور الحل والعقد لحكومة أو دولة ، كذا صرح الإمام الغزالي والعلامة الماوردي والبغوي وابن العربي والقرطبي وغيرهم (٤) :

الرعايات الخاصة بالمرأة :

أ- النفقة : إن من الحقوق الأساسية التي تتمتع بها المرأة "النفقة" وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب نفقتها على زوجها ، كما أجمعت الأمة على ذلك .

يقول الباري تعالى : ﴿ وعلى المولود له * رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف ﴾

---

(١) المحلى -لابن حزم : ٤٣٠/٩ .

(٢) مراتب الإجماع -لابن حزم : ص/١٢٦ .

(٣) المرأة بين الفقه والقانون : ص/١٥٣-١٥٤ .

(٤) شرح السنة -للبغوي ، وأحكام القرآن -لابن العربي ، الجامع لأحكام القرآن -للقرطبي : ١٨٣/١٣ ، الأحكام السلطانية -للماوردي : ص/٢٧-٢٨ .

[سورة البقرة ، الآية/٢٣٣] والآية نصت على وجوب نفقتها على زوجها (١) .

وقوله تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته * ومن قدر عليه رزقه * فلينفق مما آتاه الله * لا يكلف الله إلا ما آتاها ﴾ [سورة الطلاق ، الآية/٧] استدل بهذه الآية الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ أسكنوهنّ من حيثُ سكنتم من وُجدكم ﴾ (٢) استدل بهذه الآية على وجوب نفقتها على الزوج ، الإمام علاء الدين الكاساني رحمه الله فقال : "والأمر بالإسكان أمر بالإتفاق ، لأنها لا تصل إلى النفقة إلا بالخروج والاكتساب ، وهي ممنوعة منه لحق الزوج .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تضاروهنّ لتضيقوا عليهنّ ﴾ (٣) أي لا تضاروهن في الإنفاق عليهن فتضيقوا عليهن النفقة فيخرجن" .

ومن السنة : فما روى عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : "اتقوا اللّه في النساء فانهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" (٤) ، ولقوله ﷺ لهند زوجة أبي سفيان : "خذي ما يكفيك و ولدك بالمعروف" (٥) .

فلو لم تكن النفقة واجبة لم يحتمل أن يأذن لها بالأخذ من غير إذنه (٦) .

يقول الإمام السرخسي رحمه الله وهو يشرح وجوب النفقة من المعقول : "و لأنها محبوسة لحق الزوج و مفرغة نفسها له ، فتستوجب كفايتها عليه في مالها كالعامل على الصدقات لما فرّغ نفسه لعمل المساكين استوجب كفايته في مالهم ، و القاضي لما فرغ نفسه لعمله للمسلمين استوجب الكفاية في مالهم" (٧) .

---

(١) أحكام القرآن -للجصاص الرازي : ٤٠٤/١ .(٢) المغني -لابن قدامة : ٥٦٣/٧ .

(٣) بدائع الصنائع : ١٦/٤ .

(٤) رواه الإمام الطحاوي في مشكل الآثار : ٣/

(٥) رواه البخاري في باب رقم/٩٥ ، كتاب البيوع ، ومسلم : برقم/١٧١٤ ، وأبو داؤد : برقم/٣٥٣٢ .

(٦) بدائع الصنائع : ١٦/٤.

(٧) المبسوط -للإمام السرخسي : ١٨١/٥.

أنواع النفقة : (أي ما يدخل في عداد النفقة وما لا يدخل) :

لابد من معرفة نطاق النفقة وحدودها لفهم تشريع النفقة في الإسلام ، وما هي الحاجات التي لابد من سدها ورعايتها وإعداد المال والعدة لها ، فقد دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة أن نفقة الزوج تشمل : *الطعام والكسوة والسكن ، وعلى هذا نص الفقهاء :*

يقول الإمام ابن قدامة : "إن المرأة إذا سلّمت نفسها إلى الزوج على الوجه الواجب عليها فلها عليه جميع حاجاتها من ماكول ومشروب وملبوس ومسكن" (١) .

كما هو المعروف أن نفقة الزوجة ليست بمقصورة على نفقة الطعام والكسوة والمسكن ، بل لها توابع أشار إليها الفقهاء أثناء كلامهم عن هذه الأنواع الثلاثة .

وذلك لأن الحبوب من الغلات لا تكفى وحدها ما لم يرافقها جميع الأمور اللازمة التي يحتاج المرأة في إعداد الطعام ، كأدوات الطبخ والنقود التي يتمكن بها من شراء حاجيات الطبخ ، كما أن وسائل طبخ الطعام من التنور والوقود والأواني والكؤوس والقصاع والمراحل ، وما ينظف به مرافق المطبخ ، كل ذلك تشمل نفقة الطعام .

وتدخل أشياء كثيرة مختلفة فمن الحاجيات في مختلف الأحوال والعصور نظراً إلى اختلاف المستويات مما يحتاج القاضي في قضاء حكمه إلى اعتباره نظراً إلى النوعية الخاصة للخصومة ورعاية للأعراف .

ب- السكن : يقول الله تعالى : ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ﴾ [سورة الطلاق ، الآية/٦] ، وقد أمر الله عزوجل بحسن العشرة مع النساء ، وكذلك يقتضيه العقل البشري أن تتمتع المرأة بظل السقف لكي تصون نفسها وعرضها ومتاعها ، فيجب على الزوج أن يهيأ لها مسكناً ، يقول ابن الهمام :

---

(١) المغنى : ج/٧ ، ص/٥٦٤ .

وعلى الزوج أن يسكنها في دار مفردة لأن السكن من كفايتها فتجب لها كالنفقة (١) ، ولا يشترط أن يكون السكن ملكاً للزوج بل يجوز أن يكون مستأجراً أو مستعاراً ، يقول الإمام ابن الهمام : "والسكن بالملك أو الإجارة أو العارية واجبة إجماعاً" ، كما لابد من رعاية الأمور الآتية في السكن :

١- أن لا تجبر المرأة على السكونة مع ضرتها أو أحماء الزوج الآخرين وذلك لأن كل امرأة تستقل في حق سكناها (Sepret Residence) .

أما إذا كان البيت محتوياً على غرف متعددة فلها حق غرفة مستقلة تتصرف بإغلاقها وصيانة أغراضها وأمتعتها .

يقول الإمام الكاساني : ولو أراد الزوج أن يسكنها مع ضرتها أو مع أحمائها كأم الزوج وأخته وبنته من غيرها وأقاربه ، فأبت ذلك عليه ، فإن عليه أن يسكنها في منزل منفرد لأنهن ربما يؤذينها ويضررن بها في المساكنة، وإباؤها دليل الأذى والضرر ، ولأنه يحتاج إلى أن يجامعها ويعاشرها في أي وقت يتفق ، ولا يمكنه ذلك إذا كان معهما ثالث ، ولكن لو أسكنها في بيت من الدار وجعل لهذا البيت غلقاً على حدة كفاها ذلك ، وليس لها أن تطالبه بمسكن آخر ، لأن الضرر بالخوف على المتاع وعدم التمكن من الاستمتاع قد زال (٢) كذا ذكره الإمام ابن عابدين في رد المحتار على الدر المختار .

٢- أن يكون السكن في قرية آمنة عن الفتن ، في صيانة كاملة من كل ظلم وعنف أو خطر على الأعراض والأرواح ، وانها لو شكت إلى القاضي الإيذاء والإضرار من الزوج وطالبت بمكان مأمون يمكن فيه المنع عن اعتداء الزوج والنظر إلى موقفه منها بالاستعانة من أهل القرية ، فينبغي للقاضي أن يحكم بذلك ، وفي هذا ، يقول الإمام ابن نجيم الحنفي ، قالوا : للزوج أن يسكنها حيث أحب ولكن بين جيران صالحين ، ولو قالت : إنه يضربني

---

(١) الهداية مع فتح القدير (نسخة محققة) : ج/٤ ، ص/٣٥٧ .

(٢) بدائع الصنائع : ج/٤ ، ص/٢٣ .

ويؤذيني فمره أن يسكن بين قوم صالحين ، فإن علم القاضي ذلك زجره ومنعه عن التعدى في حقها ، وأن يسأل الجيران عن صنيعته فإن صدقوها منعه عن التعدي في حقها ولا يتركها ثمة ، وإن لم يكن في جوارها من يوثق بها ، أو كانوا يميلون إلى الزوج أمره بإسكانها بين قوم صالحين" (١) .

٣- أن لا تكون الدار مكشوفة من أي ناحية ، ولابد أن يكون المبيت من حيث لا ينظر إليه أحد من الخارج ويتيسر فيه التخلى وقت الضرورة .

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم * والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر * وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ﴾ .

[سورة النور، الآية/٥٨]

وقد روى مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ سأله رجل ، فقال : يا رسول الله ! استأذن على أمي ، فقال : نعم ، فقال الرجل : إني معها في البيت ، فقال الرسول ﷺ : استأذن عليها ، فقال الرجل: إني خادمها ، فقال الرسول الكريم ﷺ : استأذن عليها ، أتحب أن تراها عريانة ، قال : لا ، قال : فاستأذن عليها (٢) .

٤- توفر سائر المرافق الضرورية ولوازم الدار من دورات المياه وغيرها ، يقول العلامة ابن عابدين : "على الزوج أن يهيأ آلة طحن وخبز وآنية شرب وطبخ وسائر أدوات البيت وأثاثه ، كحصير وطنفسة (٣) .

٥- إن كانت الدار بحيث تنفرد فيها المرأة ويخاف أن هذه الخلوة تسبب إصابتها بالمرض النفسي فلابد من تدبير امرأة تؤنسها وتزيل وحشتها .

---

(١) البحر الرائق : ج/٤ ، ص/٢١١ .

(٢) رواه مالك في المؤطا في باب الاستئذان ، انظر : المنتقى شرح المؤطا -للإمام الباجي : ج/٧ ، ص/٢٨٣ .

(٣) رد المحتار على الدر المختار .

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان : وإذا كان للزوجة على زوجها حق السكن أي إسكانها في مسكن مناسب لها ، فإن ضرورات السكن فيه تهيئة ما تحتاجه المرأة من أثاث لنومها وجلوسها وما تحتاجه من أدوات الطبخ والأكل ونحو ذلك ، لأن المرأة ليس عليها إلا تسليم نفسها في بيت ، وعليه أن يهيئ لها جميع ما يكفيها بحسب حالها من أكل وشرب ولبس وفرش وأثاث وأدوات منزلية (١) .

ج- نفقة الخادم : مما تشتمل عليه النفقة الزوجية أن يوفر الزوج لزوجته الخادم شريطة أن يكون موسراً ، وأن تكون الزوجة ممن يخدمن في بيت أبيها ، فإن امتنع الزوج من ذلك كان للقاضي أن يلزمه بأجرة الخادم ، أما إذا كان معسراً فلا يُلزم بنفقة الخادم ، لأن الواجب عليه النفقة الضرورية وليس منها الخادم ، وكذا إن كان موسراً ولكن الزوجة ممن لا يخدمن (٢) .

د- نفقة العلاج : ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ما يلزم الزوج بنفقة علاج زوجته ، إذ اقتصرت تلك النصوص على السكن و الكسوة و الطعام ، وقد ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى القول بوجوب نفقة العلاج للزوجة إذا كان الداء الذي تعاني منه المرأة مما يعرض لكل إنسان ، كالحرارة أو الرمد أو انطلاق بطن ، أما إذا كان المرض مما يستدعي علاجه مالاً كثيراً فلا يجب تكاليفه على الزوج ، فإن كانت الزوجة مؤسرة وجبت النفقة في مالها ، وإلا لزمت وليها ، وهذا إن كان الزوج معسراً ، أما إذا كان مؤسراً فإن مكارم الأخلاق وحق الوفاء للزوجية يقضيان بأن يتولى الزوج علاجها (٣) .

---

(١) المفصل في أحكام المرأة : ١٩٩/٧ .

(٢) يراجع في هذا المغنى -لابن قدامة : ٥٦٩/٧-٥٧٠ ، بدائع الصنائع : ٢٤/٤ ، نظام الأسرة في الإسلام -للدكتور عقله : ١٢١/٢ .

(٣) الزواج والطلاق في الإسلام -لأبي العينين بدران باختصار : ص/٢٥١ .

وفيما يأتي نذكر ملخص أقوال المذاهب في هذه المسألة :

١- الأحناف ، قالوا : ولا يجب للزوجة على زوجها الدواء للمرض ولا أجرة الطبيب ولا العضد ولا الحجامة (١) .

٢- الشافعية : "ولا يجب على الزوج دواء مرض ولا أجرة طبيب وحاجم ونحو ذلك ، كفاصد وخاتن ، لأن ذلك لحفظ الأصل ، فلا يجب على مستحق المنفعة كعمارة الدار المستأجرة (٢) .

٣- الحنابلة : "ولا يجب عليه شراء الأدوية ولا أجرة الطبيب ، لأنه يراد لإصلاح الجسم ، فلا يلزمه كما لا يلزم المستأجر بناء ما يقع من الدار وحفظ أصولها (٣) .

والراجح كما قدمت من قبل - والله تعالى أعلم - أن تعتبر الأدوية وأجرة الطبيب من توابع النفقة للزوجة على زوجها ، يقول الدكتور زيدان مؤيداً هذا القول : "فكما أن نفقة الطعام تعتبر سبباً لحفظ المرأة من الهلاك جوعاً فكذلك الأدوية وأجرة الطبيب تعتبر سبباً لإدامة الحياة فأشبهت نفقة الطعام ، ثم إن إنفاق الزوج على معالجة زوجته بشراء الأدوية وعرضها على الطبيب ، ودفع الأجرة له ، كل ذلك يعتبر بكل تأكيد من مظاهر العشرة بالمعروف التي أمر الله تعالى بها الأزواج ، بقوله تعالى : ﴿ وعاشروهنّ بالمعروف ﴾ (٤) .

ويقول الأستاذ محمد مصطفى الشلبي : "ألم يؤمر الزوج بمعاشرة زوجته بالمعروف ؟ ألم يؤمر بالإحسان إليها ، أمن الإحسان والمعاشرة بالمعروف تركها وهي مريضة لغيره يعالجها ؟ إن قيام الزوج بالعلاج إشعار لزوجته بأنه حريص عليها فتزداد المودة بينهما ، وعلى العكس من ذلك تركها لغيره

---

(١) الفتاوى الهندية : ٥٤٩/١ .
(٢) مغني المحتاج : ٤٣١/٣ .
(٣) المغنى -لابن قدامة : ٥٦٨/٧ ، المفصل في أحكام المرأة : ١٨٤/٧ .
(٤) المفصل في أحكام المرأة -للدكتور زيدان : ١٨٥/٧ .

يعالجها ، فإنه لا يترك في نفسها إلا الألم و الحسرة ، و إذا كان وجوب النفقة للإبقاء على حياتها فحاجتها إلى العلاج أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب (١) .

الحضانة : إن من الاهتمامات الفائقة التي قام بها الإسلام نحو المرأة حق الحضانة ، وليس القصد بذكر "الحضانة" هنا ذكر المسائل والفروع المتعلقة بالحضانة وسرد أقوال الفقهاء وخلافاتهم في هذه القضية ، بل إن الغرض الأساسي لتناول هذه القضية هنا هو إبراز جانب رعاية الإسلام بالمرأة ، وإعطاء حق الحضانة للأم التي هي أودعت من الحنان والشفقة والصبر والاحتمال ما لا يتوفر في غيرها ، ولهذا كانت الأم أحق الناس بحضانة طفلها سواء كانت الزوجية قائمة أو منتهية بالافتراق بين الزوجين .

ما هي الحضانة ؟ الحضانة مأخوذة من الحِضن بكسر الحاء وهو الصدر ، وهي تعني الضم لأن الحاضنة تضم الطفل إلى صدرها وترعاه ، يقال : احتضن الأمر بمعنى تولى رعايته والدفاع عنه (٢) .

وعرفه الدكتور شلبي قائلاً : هي القيام على تربية الطفل الذي لا يستقل بأمره برعاية شئونه من تدبير طعامه وملبسه ونومه وتنظيفه و وقايته عما يهلكه أو يضره (٣) .

من يثبت له حق الحضانة على الصغير :

إذا كان الطفل يخرج إلى الحياة عاجزاً عن كل شئ فيحتاج إلى من يقوم بأموره كلها ، فإذا بلغ حد التمييز واستطاع أن يقوم ببعض شئونه ظهرت حاجته إلى نوع آخر من الخدمة كالتعليم والتهذيب والصيانة عن الفساد ، إذن هو في طوريه محتاج إلى خدمته ، ولما كان النساء أقدر على

---

(١) أحكام الأسرة في الإسلام ، دراسة مقارنة -للدكتور محمد مصطفى الشلبي : ص/٤٢٤-٤٢٥ .
(٢) المعجم الوسيط : ١٨١/١ .
(٣) أحكام الأسرة في الإسلام : ص/٧٣٣ .

النوع الأول لما لهن من الخبرة في هذه الأمور والصبر عليها جعله الشارع إليهن وقدّمهن على الرجال في حق الحضانة ، ولما كان الرجال أقدر على النوع الثاني وكله الشارع إليهم .

ولما كانت الأم بطبيعتها أحن على وليدها من غيرها فشفقتها لا تعدلها شفقة وعطفها لا يقاربه عطف جعلت في المرتبة الأولى من الحاضنات (١) .

والدليل على تقدم الأم على سواها في هذا الحق ما يأتي :

١- ما روى أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! إن ابني هذا كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثديي له سقاء ، وأن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني فقال : أنت أحق به ما لم تتزوجي (٢) .

٢- ما روى أن عمر بن الخطاب طلق زوجته أم عاصم ثم أتى عليها وفي حجرها عاصم فأراد أن يأخذه منها فتجاذباه بينهما حتى بكى الغلام ، فانطلقا إلى أبي بكر فقال : مسحها وحجرها وريقها خير له منك حتى يشب الصبي فيختار لنفسه ، وفي رواية أخرى : "ريقها خير له من شهد وعسل عندك يا عمر" وكان ذلك بمحضر من كثير من الصحابة" (٣) .

٣- ما تتمتع به المرأة من وفرة الشفقة وكمال العطف مما يجعلها أحرص الناس على حسن تعهد ولدها (٤) .

مدة الحضانة ومصير الصغير بعدها :

قد تبين مما سبق أن الإسلام أعطى حق الحضانة للأم - المرأة - وقدمها على الرجل ، وفيما يأتي نذكر جانباً آخر لعناية الإسلام بهذا الصنف الضعيف و رعايته له ، ألا و هو التفريق بين حضانة الطفل (الذكر) و حضانة

---

(١) أحكام الأسرة في الإسلام : ص/٧٣٦ .

(٢) رواه أبو داؤد : برقم/٢٢٧ ، بلفظ "ما لم تنكحي" .

(٣) أحكام الأسرة في الإسلام : ص/٧٣٧ .

(٤) زاد المعاد في هدى خير العباد : ٢٣٨/٢ ، فقه السنة : ٢٨٩/٢ .

الأنثى ، فقد جعل الإسلام مدة حضانة الولد أقل من مدة حضانة الأنثى ، حسب الاختلافات الموجودة عند الفقهاء في تحديد المدة ، يقول الأستاذ شلبي : تبتدئ مدة الحضانة من وقت ولادة الطفل ، أما انتهاؤها فيختلف تبعاً لاختلاف نوع المحضون بالذكورة والأنوثة ، فإذا كان المحضون ذكراً فإن حضانته تستمر حتى يستغني عن خدمة النساء ، ويستطيع أن يقوم بحاجاته الأولية من أكل ولبس ونظافة ، أما حضانة الأنثى فتستمر إلى سن المراهقة وهي السن التي تشتهي فيها ، وقد قدرها البعض بإحدى عشرة سنة وقدرها آخرون بتسع سنين . بينما ذكر المالكية أن الحضانة للأنثى تستمر إلى زواجها ودخول الزوج بها (١) .

أما بعد انتهاء الحضانة فيسلّم الولد ذكراً كان أو أنثى إلى الأب إن كان موجوداً وعنده أهلية لضم الولد إليه ، فإن لم يكن موجوداً انتقل الحق إلى غيره من العصبات الأقرب فالأقرب .

ويبقى الغلام عند من ضم إليه حتى يبلغ مأموناً على نفسه ، أما البنت فإنها تبقى في يد من ضمت إليه حتى تتزوج ، فإذا لم تتزوج بقيت عند أبيها أو عاصبها المحرم إن كانت بكراً يخشى عليها الفتنة (٢) .

وبهذا تبين لنا أن الولد لا يبقى تحت رعاية الأب وإشرافه وتحت نفقاته إلا إلى حد البلوغ ، فإذا بلغ فلا تجب نفقته على الأب ، أما الأنثى فنظراً إلى ضعفها وزيادة في الاهتمام بها وصيانتها عن أية شبهة تمس كرامتها وتنال من شرفها ألزم الشارع الحكيم نفقاتها على الأب أو على العصبة عند عدم وجود الأب حتى تتزوج و تصبح ذات عفة و كرامة ، و لا يخشى عليها لأي فتنة ، وهذا كله إن دل على شئ فإنما يدل على سماحة هذا الدين الحنيف وميزته الخاصة في إعطاء كل ذي حق حقه دون أي نقص أو شطط ، كيف لا ؟ و شارعه الحكيم هو القائل : ﴿ وأقسطوا * إن الله يحب المقسطين ﴾ فسبحان من أعطى كل ذي حق حقه وعدل وأقسط ، وسبحان من حرم الظلم على نفسه ، وعلم عباده أن لا تظالموا ، سبحان من جلت قدرته وعظم شأنه وبيده كل شئ ، وهو على كل شئ قدير .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : ٥٢٦/٢ .

(٢) يراجع لأقوال العلماء في هذه المسألة : حاشية الدسوقي على شرح الدردير : ٥٢٦/٢ . بدائع الصنائع -للكاساني : ٤٢/٤-٤٣ ، الموسوعة الفقهية الكويتية : ٣١٤/١٧-٣١٥ ، المغني - لابن قدامة : ٦١٨/٧-٦١٩ ، أحكام الأسرة في الإسلام -للأستاذ محمد مصطفى شلبي : ص/٢٦٥ .

أخبار اجتماعية وثقافية:

المسلمون يعارضون إدخال الوثنية في التعليم

سماحة العلامة الشيخ الندوي يعلن أن المسلمين موحدون لا يعبدون إلا الله

بقلم : البروفيسور محمد يونس النجرامي الندوي

منذ أن تولى الحزب القومي الهندوسي مقاليد الحكم بدأ الوزراء بإدلاء تصريحاتهم الصحفية بوجوب إنشاد نشيد "وندى ماترم" وعبادة "سرسوتي" إلهة العلم لديهم ، وأخيراً أصدرت الجهات المختصة إلى المدارس الابتدائية الحكومية بلاغاً بفرض غناء بعض الأناشيد الوطنية على جميع الطلاب ، وهي : "سرسوتي وندنا" و "وندى ماترم" وهي تحمل معاني الوثنية والشرك والعبادة للوطن وإلهة العلم حسب المعتقدات الهندوسية وأساطيرها ، وظل الأمر خفياً إلى أن أصدرت حكومة ولاية أترابراديش أمراً حكومياً في ١٩٩٨/٧/٢٥م ، وألزمت المسئولين في المدارس الحكومية البالغ عددها أكثر من مائة ألف بضرورة الأناشيد الوثنية قبل بدء الدراسة وختامها والخضوع أمام خريطة الهند ، وإلهة العلم إظهاراً لحبها والولاء لها وعبادتها ، وكان الأمر خطيراً جداً ، وبالفعل بدأت المحاصرة الثقافية الوثنية للمسلمين من مرحلة الروضة والابتدائية ، وبالتالي شعوراً بمسئولياته الدينية وللحفاظ على عقيدة التوحيد الخالص الذي هو الحجر الأساسي في الدين الإسلامي ، أعلن سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بصورة واضحة : إن المسلمين لا يعبدون إلا الله ، ولا يخضعون لأحد سواه ، لأن الخضوع يعني التقديس ، وأضاف سماحة العلامة الندوي قائلاً : إن المسلمين يفضلون الموت ، ولكن لن يتخلوا عن المعتقدات الإسلامية ،

وخاصة عن عقيدة التوحيد الخالص ، وقال العلامة الندوي : إذا كانت الحكومة الحاضرة لا تستجيب لندائه فيقوم هو بتوجيه نداءه إلى المسلمين أن يسحبوا أبناءهم وبناتهم من المدارس الحكومية ، وذلك لأجل دينهم الإسلامي الحنيف وللحفاظ على معتقداتهم الدينية ، وخاصة عقيدة التوحيد ، ونشرت جميع الصحف القومية الهندية بيان العلامة الندوي في ١٩٩٨/١١/٢٠م على صفحاتها الأولى ، و وقع بيان سماحة العلامة الندوي كصاعقة على أسرة R.S.S. الهندوسية المتطرفة التي تبنت هذا المشروع ، واستنكر أعضاؤها تصريح الندوي قائلاً : إن الذي لا يؤيد "سرسوتي وندنا" و "وندى ماترم" لا يجوز له أن يبقى في الهند وهو في الحقيقة ضد الوطن ، لم يكتفوا بذلك بل قام الجناح التعليمي لمنظمة R.S.S. "أكهل وديارتهي بريشد" بإحراق صور الندوي على الشوارع أعراباً عن حقدهم الدفين في قلوبهم للإسلام والمسلمين ، وفي الساعة الثانية من ليلة ١٩٩٨/١١/٢٢م اقتحمت عصابة من الأشخاص المجهولين هويتهم دار الضيافة للعلامة الندوي في قريته "تكيه كلان" بمدينة "راى بريلي" ، وفتشوا جميع الغرف وعادوا قائلين لم نجد شيئاً ، وفي تلك الأيام كان العلامة الندوي يقيم في دار العلوم لندوة العلماء بمدينة لكناؤ ، وكان لهذه الإجراءات التفتيشية أثر سيئ على جميع المواطنين من الطبقات المختلفة ، واستنكرت الصحف الهندية أيضاً هذا الحادث ، وبدأت الوفود من جميع أنحاء الهند تزور العلامة الندوي للتضامن معه ، والوقوف بجانبه في القضية العادلة التي اتخذها الندوي على عاتقه والذين زاروا الندوي منهم رئيس الحزب القومي الهندوسي لولاية أترابراديش "راج ناتهـ سنغ" رغم معارضة أصحابه المتطرفين ، و "ترانن دت تيواري" زعيم المؤتمر الهندي و كبير الوزراء لولاية أترابراديش سابقاً ممثلاً لـ "سونيا غاندي" رئيسة المؤتمر الهندي الوطني لولاية أترابراديش ، و "السيد رام سرن داس" رئيس حزب "سماج وادي" بولاية أترابراديش ، والسيد "تريش

أجروال" وزير الولاية للطاقة والكهرباء ، و "برمود تيواري" و ستاديو ترباتهي" و "آر.ك. جودهري" وبعثت السيدة "سونيا غاندي" أرملة "راجيف غاندي"ورئيسة المؤتمر الوطني الهندي لعموم الهند برسالة خاصة ، واستنكرت فيها هذا الاعتداء، هذا ، ومن جهة أخرى انهالت البرقيات والمكالمات الهاتفية والرسائل المعاكسة لا من الهند وحدها بل من جميع أنحاء العالم ، وجميعها استنكرت هذا الحادث المشئوم وأبدت وقوفها مع الحق والقضية المتمثلة في شخصية العلامة الندوي .

والذي يلفت النظر هو أن سماحة العلامة الندوي ظل طوال هذه الفترة هادياً مطمئناً ولم يشعر بالمرارة لأي شخص ، ولم يلفظ كلمة تجرح مشاعر الآخرين ، كنت عايشته ليلاً ونهاراً في تلك الفترة هو يتلو القرآن الكريم ويبتهل إلى الله وينفجر في البكاء في دعائه وأناته ، ويدعو لعزة الإسلام والمسلمين وكرامته في الهند وبقاء الجيل المسلم القادم على الإيمان والإسلام والتوحيد ، وكان يقول لزوّاره : إنهم اساؤوا إلى سمعة الهند ، إنهم اساءوا إلى سمعة الهند ، وجدته صلباً حديداً في التمسك بالمعتقدات الإسلامية ، ولا يرضى بالمساومة على العقيدة والإيمان مهما كان ثمنه غالياً ورفيعاً إذ نراه في الوقت نفسه فيه نعومة الحرير في التعامل مع زائريه ، مهما كان دينه وعقيدته ومذهبه ، وهذه هي الحقيقة التي ظلت من أجلها عقيدة التوحيد موضوع البحث والنقاش في الإعلام الهندي لعدة أسابيع وعرف وأدرك الشعب الهندي ما هي أهمية عقيدة التوحيد في الإسلام ولدى المسلمين ، وبالتالي قطعت الدعوة الإسلامية شوطاً كبيراً في تاريخها في الهند منذ ألف سنة .

والذي يبشر بالخير أن ضمير الأغلبية حي ، ولا يرضى بالظلم والعدوان والتدخل في شئون الديانات الأخرى ، ويجب على الدعاة والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية استخدام هذه الظاهرة لصالح الإسلام والمسلمين ، والدعوة بصورة منطقية وبالحكمة والموعظة الحسنة ، كما

دعا إليه الكتاب والسنة ، وبضغوط من العلامة الندوي وموقفه العادل تراجعت الحكومة ، وأصدرت أوامرها بسحب الأمر الحكومي الصادر في ١٩٩٨/٧/٢م ، كما جاء في صحيفة "Times of India" في ٩٨/١٢/٤م والصحف الأخرى ، ولم ينته الأمر على ذلك بل طرد كبير الوزراء لولاية أترابراديش السيد "كليان سنغ" الوزير التعليمي للمرحلة الابتدائية والمتوسطة من مجلس وزرائه قائلاً بأنه لم يأخذ ثقة مجلس الوزراء في هذه القضية وأساء بسبب تصرفاته إلى سمعة الحكومة ، وهكذا حقق سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي - حفظه الله - انتصاراً رائعاً للإسلام والمسلمين ، كما انتصر قبل ذلك في قضية "شاه بانو" وكانت الحكومة المركزية آنذاك اضطرت إلى تقديم المشروع وفق الأحوال الشخصية الإسلامية ، وهذه هي سنة الله مع عباده المخلصين والعاملين في سبيله ، والعلامة الندوي يستحق الشكر والثناء لا من مسلمي الهند وحدهم بل من جميع الجاليات الإسلامية العالمية - حفظه الله ورعاه لخدمة الإسلام والمسلمين - .

المسلمون أوفياء للهند ولكنهم لا يعبدونها

في مقابلة مع صحيفة "Indian Express" اليومية و واسعة الانتشار في ٩٨/١١/٢٠م صرح البروفيسور محمد يونس النجرامي مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية ، ورئيس جمعية المثقفين المسلمين بالهند ، أعرب عن رأيه واعتقاده قائلاً في حديث خاص مع الصحيفة بأننا مستعدون للتضحية و الفداء لأجل بلدنا ، ولكن ليس من الممكن أن نعبده ، الحب والولاء للوطن شئ والعبادة شئ آخر ، وأضاف النجرامي قائلاً : إن التوحيد الخالص هو حجر الزاوية في الدين الإسلامي ولو تركناه لا سمح الله بذلك فهو يعني بأننا هدمنا القاعدة الصلبة للإسلام ، وقال النجرامي بأننا في بلد ديمقراطي يلجأ إلى الدستور الهندي الذي منح الحق الدستوري للأقليات المتواجدة في الهند بأن تمارس وتحافظ على حقوقها الدينية والثقافية والتعليمية بحرية تامة .

تعليق حول كتاب :

ما يلزم من العربية

د/عبد الماجد الندوي الكشميري

صدر حديثاً كتاب "ما يلزم من العربية" للأستاذ رفيع العماد فينان، أستاذ اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية دلهي الجديدة، وهذا الكتاب يعد بجدارة زيادة قيمة إلى المكتبة العربية الحديثة.

وحيث إن الكتاب يهدف إلى تمهيد المسار وتسهيل المنهج لطلاب اللغة العربية، ويتوخى إزاحة الحواجز التي تحول دون تعلم اللغة، رغم التبسيط والتيسير، فقد اختار المؤلف منهجاً تربوياً سليماً ودقيقاً، حيث إنه يذكر القواعد اللغوية في الإنجليزية الشفة الميسرة، ويشرحها من أقرب الطرق ويأتي بالأمثلة ويقوم بتحليل لغوي للأمثلة حتى تتضح من خلالها القواعد اللغوية، ويمكن تطبيقها على ذلك المنوال.

والأستاذ فينان قد مر بعملية علمية وتطبيقية طويلة قبل أن يسجل نتائج تجربته في مجال تدريس العربية لغير الناطقين بها، فإن خبرته في هذا المجال تمتد على مدى أكثر من عشرين سنة، وكلها عبارة عن جهد جهيد وسهر على تطوير المنهج المجزى الذي يتكفل بحل المشكلات التي يواجهها الطالب في تعلم اللغة العربية في البلاد النائية عن العرب والعروبة، فالكتاب تجسيد لآرائه السديدة وخبرته الناجحة في مجال تدريس العربية، وليس كتاباً فحسب وإنما هو منهج وخطة وتطبيق لأحدث ما وصل إليه من خلال رحلة علمية مضنية على مدار ربع قرن تقريباً، وكان خلال هذه الفترة شديد الاهتمام بالنتائج التي تطلع على الساحة العملية حتى تمكن - بعد طول المتابعة والنظر والمراقبة والتعديل والتشذيب وتسجيل نتائج كافة المراحل - من صياغة هذا المنهج الذي أكسبه اسماً وسمعة لدى تلاميذ العربية وأساتيذها، قلما يحظى بها أساتذة اللغة حتى أصبح مثلاً للأستاذ المحبب في الوسط الجامعي ونموذجاً يحتذى به.

ولم يستوعب هذا الجزء كافة القواعد العربية وإنما يتلوه جز آخر حتى لا يحتاج الطالب إلى التخبط في ثنايا كتب القواعد المتواجدة والمتداولة التي لا تخلو من إيجاز وغموض مخل أو إسهاب ممل، زد إلى هذا المناهج المتفاوتة في التناول والمعالجة التي تثبط الهمم والتي لا يتضح هدفها.

"ما يلزم من العربية" يلتزم بالمنهج الميسر في التدرج وقلة الاعتناء بالتفاصيل الجزئية التي ليست لها قيمة عملية لأنه يستهدف إبراز الجوانب التطبيقية من القواعد اللغوية، أما الزيادات والتفاصيل التي قد تسبب الحيرة و الارتباك فإنه يهملها نظراً للمبادئ التربوية التي تتطلب التركيز على الهدف.

"ما يلزم من العربية" عبارة عن تجربة عاشها صاحبها عقدين من الزمن وحصلت النتائج المرجوة كلها، أعيدت التجربة حتى استخلصت وتمت صياغتها في هذا الكتاب، فهو يشبه العقاقير التي تتم تجربتها في المختبرات مراراً وتكراراً قبل التقييم النهائي، وقبل ترخيص إنتاجها وتسويقها.

والكتاب في جودة نسقه وتسلسله والترتيب المنطقي وفي رصف المعلومات وتنظيمها يضاهي كتب الرياضيات، فليس هناك نشر ولف وتلوية وعطف بل إنه يمشي سوياً على المنهج المبسط في السرد والتحليل، ويقوم بدور الدليل الذي يمسك بيد المتفرج في رفق وأناة ويتمهل معه ويتلطف حتى يتمتع بالمشهد ملء بصره، وينتقل إلى المشهد الآخر، وليس لنا عهد بهذا الأسلوب في الكتب المدرسية، وخاصة في كتب القواعد اللغوية التي يسبب مجرد النظر إليها هزة وقشعريرة لدى الناشئة، لكن أسلوب هذا الكتاب ممتع جذاب مع سهولته و وضوحه.

والكتاب يقوم وسيطاً بين اللغتين: الإنجليزية والعربية، وتضييق الفجوة بينهما، فالطالب يتقدم خطوات ثابتة في التعامل مع الإنجليزية، وتصبح بعد ذلك من صميم رصيد ثقته بذاته، وأما الطباعة والإخراج فإنها تطابق أحدث المواصفات القياسية، زد إلى هذا الرسوم البيانية والتصاميم التي تمثل دورها في التيسير، والأخطاء المطبعية التي قد تسبب سوء التفاهم لدى المبتدئين والناشئة.

☆☆☆

إصدارات جديدة

تكرم فضيلة الدكتور الشيخ محمد عليان، شيخ مشيخة، رواق الشوام بالأزهر سابقاً، وأستاذ الفقه المساعد بكلية الشريعة سابقاً، وأستاذ الثقافة الإسلامية بالحرس الوطني سابقاً، ومحاضر بالمعهد العالي للعلوم الأمنية بالرياض، ومحاضر بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض، بإهداء مؤلفاته القيمة التي أصدرها حول موضوع الفقه الإسلامي إلينا، وهي كتب علمية قيمة تبحث في التشريع الإسلامي والقانون الوضعي، والتأمين والثقافة الإسلامية، والحضارة الإسلامية، ومجموع الصلوات في الإسلام.

١- التشريع الإسلامي والقانون الوضعي: تحدث فيه المؤلف الكريم عن نشأته ومصدره وطبيعته وخصائصه ثم غايته، في أسلوب علمي تحقيقي.

٢- التأمين في الشريعة والقانون: يشتمل على تعريف التأمين وأركانه و وظائفه وأغراضه، وعلى خصائص عقد التأمين وأقسامه، ويبحث في الضمان والإجارة والوديعة والسلم والمضاربة، والجعالة، والهبة، والوعد، والمصلحة، والعُرف، والتعاون، والربا، والغرر، والغبن، والقمار، والمراهنة، والبديل الإسلامي للتأمين المعاصر.

٣- الثقافة الإسلامية وتحديات العصر: يحتوي هذا الكتاب على سبعة أبواب، وكل باب يتضمن فصولاً: فالباب الأول في مفهوم الثقافة، والباب الثاني في البناء وأساس البناء، والباب الثالث في الحضارة الإسلامية، والباب الرابع في مبادئ الإسلام العامة، والباب الخامس في خصائص الإسلام، والباب السادس في الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، والباب السابع في أسباب تأخر المسلمين، وتخلفهم عن مسايرة الركب الحضاري.

ومن ثم كان هذا الكتاب مستوعباً لمفهوم الثقافة وعلاقتها بالإسلام.

٤- دراسات في الحضارة الإسلامية: يتحدث فيه المؤلف الكريم عن

تاريخ الحضارات القديمة، والحضارة الإسلامية، وتأثير العقيدة الإسلامية في بنائها، بغاية من الوضوح والتفصيل.

٥- مجموع الصلوات في الإسلام: بيّن المؤلف الكريم في هذا الكتاب، مفهوم الصلاة وأثرها في سلوك الإنسان، وعن حكمة مشروعيتها، وتحدث عن المقدمات الأساسية للصلاة، وذلك كالطهارة والوضوء والغسل والتيمم، ودخول أوقات الصلوات، والأذان، وستر العورة، واستقبال القبلة، والإقامة للصلاة، والنية، وتسوية الصفوف، كما قد ذكر ما نهي عن الصلاة فيه من الزمان والمكان، وما تبطل به الصلاة، ومسائل متفرقة أخرى مما يتعلق بالصلاة.

وإن أسرة المجلة حين تشكر المؤلف الكريم على هذه الهدايا الغالية من الكتب العلمية القيمة، تشيد بالمجهودات العلمية التي بذلها في سبيل العلم والدين، وزاد بذلك إلى ثروة المكتبة الإسلامية، تقبل الله منه هذه المجهودات المباركة، وكتب له أحسن ما يجزي به عباده العاملين المخلصين.

☆☆☆

الكويت تواجه الأطماع

ورد إلينا هذا الكتاب بقلم الدكتور يعقوب يوسف الغنيم، يتضمن تاريخ الكويت، منذ نشأتها إلى تاريخها الحديث الذي ازدهرت فيه الكويت، وحلت مكانة ممتازة على الصعيد العالمي، وقد أكرمها الله تعالى بالثروات المعدنية، وأسل فيها عيون الذهب الأسود، مما جعلها محط أنظار العالم كله، كما جعلها موضع أطماع بعض الدول المجاورة، وسوف لا ينسى التاريخ ما قد قام به العراق من الغزو عليها و محاولة السيطرة على منابع ثرواتها في عام ١٩٩٠م.

لقد تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن كل ذلك في ضوء الوثائق والشهادات التاريخية، و سد به فراغاً في تاريخ هذا البلد العزيز، و أدى به واجباً كان عليه أن يؤديه.

الى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ صدر الدين الإصلاحي

في ذمة الله تعالى

توفي فضيلة الشيخ صدر الدين الإصلاحي أحد قادة الجماعة الإسلامية في الهند وعلمائها البارزين في ١٣/من شهر نوفمبر ١٩٩٨م ، وقد قضى مدة طويلة في العمل الدعوي والتأليف والكتابة حول الموضوعات الإسلامية ، وكان من زملاء العلامة المودودي وأنصاره والمساهمين معه في ترسيخ جذور الجماعة في الهند ، من أول يومه ، وقد رزق عمراً طويلاً حافلاً بالأعمال الجليلة والخدمات الدعوية ، حتى بلغ ٨٢/عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

عكف الفقيد على العمل الإسلامي بأشكاله المختلفة ، فقام بوظيفة المدرس لكتاب الله وتفسيره بمدرسة الإصلاح في بلدة سراي مير ، بمديرية أعظم كره (الهند) وفي مدرسة الجماعة الإسلامية في رامفور (الهند) إلى مدة لا بأس بها ، وبالإشراف على جامعة الفلاح ببلدة "بلريا غنج" أعظم كره .

ثم اشتغل بأعمال الجماعة الإسلامية وركز مجهوداته العلمية والعملية كلها على الدعوة الإسلامية بالقلم واللسان ، وقدم نموذجاً للعالم والداعية والمربي ، فكان معجباً به في جميع الأوساط العلمية والدينية ، ويتمتع بلحترام الجميع في كل مكان .

كان المرحوم قد جعل كتاب الله تعالى محوراً لدراسته وتأملاته و التعمق في معانيه ومفاهيمه ، فكان يؤمن كامل الإيمان بأن كتاب الله تعالى إنما هو المفتاح لحلّ جميع المشكلات والقضايا التي يعيشها الإنسان ، ويعاني منها العالم المعاصر ، وكانت مؤلفاته وكتبه التي قام بتأليفها نتيجة لهذه الدراسة القرآنية الجادة ، وبلغت نحو ٢٥/كتاباً .

ومما يجدر بالذكر من مؤلفاته : "تعمير أساس الدين" "الإسلام في نظرة واحدة" "معركة الإسلام والجاهلية" "التصور القرآني للدين" "طريق الاعتدال في المسائل المختلف فيها" "حقيقة النفاق" "فريضة إقامة الدين" "الحركة الإسلامية في الهند" "الإسلام والاجتماعية" ، كما أنه قام بتلخيص "تفهيم القرآن" للعلامة المودودي (في مجلد واحد) وألف تفسيراً للقرآن باسم : "تيسير القرآن" ولكنه لم يكتمل ، ولعل من يأتي بعده سيقوم باستكماله .

عاش الشيخ الإصلاحي حياة حافلة بجلائل الأعمال وعظائم الخدمات ، مع الالتزام بالورع والخلق الحسن والتواضع ، رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأكرمه بالجزاء الأوفى ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته مع عباده الصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

☆☆☆

الأستاذ افتخار أحمد فريدي

في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالداعية الإسلامي والمبلغ الشهير الأستاذ افتخار أحمد فريدي في شهر أكتوبر المنصرم ١٩٩٨م ، عقب مرض لازمه إلى مدة طويلة ، في وطنه مرادآباد (الهند) ، وذلك عن عمر يناهز ٨٢/عاماً ، ويحفل بأعمال الدعوة والتبليغ والتربية الدينية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان المرحوم مرتبطاً بحركة الاستقلال وتحرير البلاد ، وساهم في الثورة ضد الاستعمار الإنجليزي في الهند ، فقُبض عليه وعوقب بالسجن إلى مدة سبعة أشهر في عام ١٩٤١م ، وقد نظم جماعة من الشباب المسلم كانت تهدف

إلى تحرير البلاد، وتطهيرها من الاستعمار الإنجليزي، وأسس جريدة أسبوعية باسم: "المؤتمر" التي كانت جبهة موحدة ضد الإنجليز، وكان يشن بها الغارة عليهم من خلال الصحافة الهادفة.

ومع استقلال البلاد ذهب إلى مؤسس جماعة التبليغ العلامة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي إلى مركز الجماعة في دهلي، وانضم إلى العاملين المبلغين في جماعة الدعوة والتبليغ حتى أصبح داعية كبيراً، يدعو المثقفين بالثقافة العصرية بوجه خاص إلى الله، والإسهام في برامج الجماعة والخروج في سبيل الله، وقضاء وقت في جو دعوي وتربوي، وقد ركز مجهوداته الدعوية بوجه خاص على طلاب وأساتذة جامعة عليكره الإسلامية، وعرفهم بهذه الجماعة، وبث فيهم روح الدعوة والعمل الإسلامي، ونظم لهم الخروج مع الجماعة إلى الدول الأوربية وبلدان العالم الإسلامي.

وعندما أقعده المرض والشيخوخة عكف على الكتابة والتأليف حول المواضيع الإسلامية وألف عدة كتب يجدر بالذكر منها: "المرأة" "الوصايا" "أحاديث من القلب" "رسائل الشيخ محمد إلياس" عدا ما أصدره من رسائل وكتيبات كثيرة في موضوع الإصلاح والدعوة والتبليغ.

وكانت له علاقة خاصة بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي فطالما كان يزوره، ويقيم أياماً بصحبته، وكان لا يفوته أيّ اجتماع دعوي كان يعقد في ساحة دار العلوم ندوة العلماء.

تقبل الله عمله المخلص ورحمه الله رحمةً واسعةً، وغفر له زلاته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

☆☆☆

نداء من جامعة أحسن البنات إلى أولى الخير من المسلمين

إن جامعة أحسن البنات، مرادآباد، أترابرادیش، الهند، تحاول موقفة تهدف إلى تعليم البنات المسلمات بالتعليم الديني العالي، إلى جانب تزويدهن بما لا بد منه من العلوم العصرية و اللغة الإنجليزية وتدريبهن في الأمور المنزلية.

هذه الجامعة فتحت إبتدائها قبل خمس سنين ولم تكن حينذاك إلا عبارة عن معهد صغير خاص بالبنات الصغيرات، فأصبحت اليوم مركز فريد للتعليم الديني للبنات المسلمات على المستوى الرفيع، وتخرجت منها حتى الآن أكثر من خمسين بنات في دراستهن الدينية.

إحتياجات الجامعة الفورية

☆ نقل الجامعة من الربع العالي الضيق إلى مكان فسيح خارج المدينة.

☆ إنشاء رواق واسع يكفي للإقامة ألف طالبات واقدات. أما رواق الجامعة العالي فقد عاد ضيقاً للغاية حيث لا يفي بحاجة الإقامة إلا لمائة من الطالبات الواقدات، بينما يحرص لا يزال في أرويا منهن.

☆ أربع حافلات لنقل وإياب الطالبات المحليات وذهابهن إلى بيوتهن الواقعة في شتى محلات المدينة.

☆ تضخيم صندوق التبرعات لمساعدة الطالبات اللاتي لا يستطيع أولياؤهن التكفل بمصاريفهن.

لا يعزب عن البال أن الجامعة لا تملك موردا ماليا مستمرا، عدا المبلغ الحقير الذي يؤخذ من الطالبات القتيات، بينما هذه الإحتياجات يعوزها ملايين من الروبيات.

فالرجاء من المسلمين المبادرة إلى هذا الخير الدائم، وعلى الله أجر المحسنين.

العنوان الكامل:

أختر الإسلام القاسمي

مدير جامعة أحسن البنات، استريت نمبر ١، نئي آبادي،

المسجد الجامع، مرادآباد.

أترا براديش، الهند

ص.ب: ١٥٧ -- رقم التلفون: ٣١٩٨٠٣